جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير
في ضوء كتاب غريب القرآن وتفسيره
لابن اليزيدي (ت ٢٣٧هـ)

الدكتور
محمد عبد المنعم محمود سلطان
مدرس بقسم أصول اللغة فى كلية اللغة العربية بأسيوط

العدد السادس عشر
للعام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م
الجزء الأول

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وأصلي وأسلم على أشرف الخلق وخاتم النبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد :

فإنَّ ألفاظ اللغة العربية التي دونت في معجمات خاصة بها منذ وقت مبكر من تاريخ التأليف والتدوين لدى علماء اللغة والمهتمين بها ، قد تضمنت كل لفظة منها مدلولات متعددة أو معاني متنوعة ، فأصبح لكلٍ منها معنى أصلي بحسب الاستعمال الأول لها في كلام العرب ، ثم اكتسبت – بسبب الفصاحة وتنوع العبارات والأساليب – معاني أُخر تفرعت عن ذلك المعنى؛ فهناك الدلالة العرفية التي تعارف عليها أبناء المجتمع العربي قديمًا في مجال معين من مجالات الحياة الاجتماعية ، وهناك معانٍ جدت للألفاظ نتيجة لما طرأ عليها من تطور في دلالتها في ظل تاريخ الاستعمال اللغوي ، فانتقل اللفظ من معناه أو تعداه إلى معنى آخر بالمجاز أو التخصيص أو التعميم أو غير ذلك مما هو معروف في مظاهر التطور الدلالي ، واكتسبت تلك الألفاظ من خلال سياقات الكلام وترابط الجمل معاني غير تلك المعاني المتطورة ، دعت إليها مقامات الحال ، وفُهِم المعنى المراد منها في النص بحسب ما قد أحاط بها من كلمات وجمل ، فأصبح لها في ظل السياق معانٍ ثانوية بجانب المعنى الأصلي أو التطوري ، كالدلالة اللزومية والدلالة التضمنية أو غيرها مما يستدعيه السياق ، وهو ما يسمى عند علماء اللغة المتقدمين بـ " معنى المعنى " .

كل تلك الطرق الدلالية المتنوعة قد استقر استعمالها وعُبِّدت لدى المجتمع العربي منذ اكتمال مراحل النضج والفصاحة عند العرب من أوائل العصر الجاهلي وحتى مجيء الإسلام .

والقرآن الكريم فصيح ، بلغة الفصحاء من العرب نزل ، فكان خير مصور لما عليه اللغة العربية من تنوع لمعاني الألفاظ في أساليبه وعباراته القوية المحكمة، وقد أفصح عن ذلك علماء التفسير وأهل التأويل ، وخاصة المتقدمين منهم كأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى اليزيدي في كتابه : " غريب القرآن وتفسيره " .

لذا فقد وقع اختياري على هذا الكتاب ؛ لأتناول من خلاله موضوع هذا البحث ، والذي جاء بعنوان : " دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير في ضوء كتاب غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي المتوفى سنة ٢٣٧هـ.

وقد كان وراء اختيار هذا البحث أسباب عدة منها :

١- أن المؤلف جمع بين التفسير اللغوي والتفسير بالمأثور ، ولم يبين علاقة أحدهما بالآخر ، وعلى أي الدلالة اللغوية جاء التفسير بالمأثور ، فضلاً عن أنه من أئمة اللغة المتقدمين .

٢- تعرض المؤلف لكثير من مظاهر التطور الدلالي وأنواع الدلالات، من ذلك دلالة التعميم كما في قول الله (تعالى) : ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾[١]، حيث قال : " أي : ما ذكر عليه اسم غير الله ، وأصل الإهلال : الصوت والكلام ، واستهل الصبي : إذا صاح ، وأهل بالحج إذا تكلم به ، وكل رافع صوته مهلّ ، يقال : أهلّ بالحج : إذا لّبى "[٢]

فقوله : أصل الإهلال الصوت ... وكل رافع صوته مهل ، يسمى بالتعميم الدلالي في مصطلحات علم اللغة الحديث .

---

(١) المائدة من الآية [٣] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٥٣ .

ومنها تناوله للدلالة المجازية ، أو النقل بالمجاز ، كما جاء في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾[1] ، فقد قال ابن اليزيدى: " أي : حظًا ونصيبًا ، وإنما أصلها من الدَّلو ، يقال : للدلو الـذَّنُوب والسَّجل ، شبه العطاء والنصيب به"[2]، فهو من الانتقال بالاستعارة لعلاقة المشابهة .

ومنها ذكره الدلالة اللزومية أو المعنى الكنائي ، ففي قوله(تعالى): ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّن الْغَآئِطِ ﴾[3] ، يقول في الغائط : " كناية عن قضاء الحاجة ، والغائط من الأرض الواسع الفسيح " [4]، فهو يذكر المعنى اللغوي الأصلي والمعنى الكنائي دون ربط بينهما بوجه من أوجه العلاقات الدلالية . ومن لازم المعنى – أيضاً– قوله في تفسير قول الله (تعالى) :﴿ لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾[5] : " العرب تقول : فلان يقدم بين يدي أبيه ، أي يعجِّلُ بالأمر والنهي دونه " [6].

ومن أنواع الدلالات ، الدلالة السياقية أو دلالة الكلمة حسب ما يقتضيه السياق أو المقام كما جاء في قوله (تعالى) : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[7]، يقول : " موجِّهًا وجهه إليها ، فالفعل لـ "كل" والتولية في هذا الموضع إقبال ، وفي قوله (تعالى) : ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ ﴾ [8]، و ﴿

---

(١) الذاريات من الآية [٥٩] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ١٦٨.

(٣) النساء من الآية [٤٣] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص٥٣.

(٥) الحجرات من الآية [١] .

(٦) غريب القرآن وتفسيره ص ١٦٥ .

(٧) البقرة من الآية [١٤٨] .

(٨) التوبة من الآية [٢٥].

يـ ُولـُّوكُم الْأَدْبـَارَ ﴾[1] فِرار ، وقولك في الكلام : كان فلان مولِّيا معرضًا عني فانصرف إلّي، أي: أقبل إلّي ..."[2].

٣- ذكر في مؤلفه هذا كثيرًا من القضايا الدلالية ، والتي من أهمها:

أ- التأصيل الدلالي أو الاشتقاق اللغوي ، وهو رد معنى الكلمة إلى أصلها الذي أخذت منه ، من ذلك :

- تعليل التسمية ، كما في قوله (تعالى) : ﴿لـَلـَّذِي بِبَكَّةَ ﴾[3]، قال ابن اليزيدي : " قال بعض المفسرين : إن موضع الطواف بكة ؛ لأنه يبك بعض الناس بعضًا وهو الازدحام ، واسم القرية مكة، ويقال: بكة مأخوذ من بككت الرجل أي : وضعت منه وردت نخوته ؛ وكأنها تضع من نخوة المتجبرين وأنشد ...

إذا الشّرِّيب أخذته أَكَّه * *فخلِّه حتَّى يبـُكَّ بكَّه "[4] .

- الاشتقاق الجزئي ، وهو ما يسمى بطريقة الأخذ أي :أخذ الكلمة من الأصل الثلاثي اللغوي لها ، ومنه قوله (تعالى) : ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ وَلاخُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ﴾[5]، قال : "الخلَّة : المودة والمحبة ، والخليل مشتق من ذلك "[6].

---

(١) آل عمران من الآية [١١١] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص٣١ .

(٣) آل عمران من الآية [٩٦] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص٤٣ ، والبيتان من الرجز وهو في المحكم والمحيط الأعظم [ب ك ك] وتاج العروس [ش ر ب] ، والأكة : الشدة من شدائد الدهر ، وشدة الحّر – أيضًا ، والبك : الازدحام ، و الشريب : الذي يسقي إبله مع إبل صاحبه ، يقول : إذا ضجر الذي يسقي إبله مع إبلك لشدة الحّر انتظارًا ، فخله حتى يزاحمك .

(٥) البقرة من الآية [٢٥٤] .

(٦) غريب القرآن وتفسيره ص٣٧ .

– الاشتقاق التطوري ، ومنه ما جاء في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ [1]، قال : " المؤتفكات : قوم لوط ، ائتفكت بهم الأرض : انقلبت بهم ، ومنه الإفك وهو الكذب ؛ لأنه قلب الحديث عن وجهه " [2]، فهو تطور في المعنى من المحس إلى المعنوي المجرد [3].

–الرجوع بالكلمة إلى أصلين مختلفين في الدلالة ، من ذلك قوله في بيان قوله (تعالى) : ﴿رَجُلاً مَسْحُوراً ﴾[4]: " قالوا : من السِّحر وقال بعضهم : من السُّحْر ، والسُّحْر : الرئة ، والمعنى : أنه كان يأكل الطعام ، وكل شيء يأكل الطعام يقال له سُحْر " [5].

ب- العلاقات الدلالية أو علاقة اللفظ بالمعنى :

من ذلك تناوله المشترك اللغوي بنوعيه اللفظي والمعنوي (الترادف) ،وهو ما يعرف في علم التفسير قديماً بـ " الأشباه والنظائر "

فمن المشترك المعنوي : ما ذكره عند تفسير لفظ الفريّ من قوله (تعالى) ﴿ شيئًا فريًا ﴾ [6]، يقول : " مصنوعًا ، يقال : فريت الكذب

---

(١) التوبة من الآية [٧٠] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٧٤ .

(٣) يراجع في أنواع الاشتقاق الدلالي كتاب علم الاشتقاق نظريًا وتطبيقًيا لأستاذنا الدكتور / محمد حسن حسن جبل ص ٦٣ وما بعدها

(٤) الفرقان من الآية [٨٦] .

(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ١٠٠ .

(٦) مريم من الآية [٢٧] .

وافتريته ، وكذلك ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[1] : تصنعونه ، خلقت الكذب واختلقته مثل فريته وافتريته . ومنه :﴿ إِنْ هَذَا إِلا خَلْقُ الأَوَّلِينَ ﴾[2] ، أي : افتراء الأولين ، وقرئت " خُلُقُ الأولين " وقد يكون من هذا ، يقال : تحدَّثت بالأحاديث الخُلُق ، أي: المختلقة ، أي الكذب ، ويكون خُلُق الأولين : شيمة الأولين "[3].

فهو يفسر الفري والخلق في الآيتين بمعنى واحد ، فهما من قبيل المترادف .

ومن المشترك اللفظي ما ذكره في بيان قوله (تعالى) : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾[4]، حيث قال : " أولياء وورثة ... والمولى : ابن العم والمولى : الحليف، والمولى: المُنعِم ، والمولى: المُنْعَم عليه"[5].

ومن التضاد وهو نوع من المشترك اللفظي ما جاء في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾[6]، يقول : " معناه : باعوا ، وللعرب في شروا مذهبان :

الأكثر أن يكون شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا ، وربما جعلوهما جميعًا في معنى باعوا ، وكذلك البيع يقال : بعت الثوب أي: أخرجته من يدي ، وبعته اشتريته، وحكي عن بعض العرب أنه قال : بع لي تمرًا بدرهم ، أي : اشتر ، وقال الشاعر :

---

(١) العنكبوت من الآية [١٧] .

(٢) الشعراء [١٣٧] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٠ .

(٤) النساء من الآية [٣٣] .

(٥) غريب القرآن وتفسيره ص٤٧.

(٦) البقرة [٩٠] .

يأتيك بالأخْبارِ مَن لم تَبِعْ لـهُ ∴ تاتًا ولم تَضْرِبْ لـه رأْسَ مَوْعِدِ[1]

والبِتات : الزاد ، أي : لم تشتر له ، وقال الراجز :

إذا الثُريَّا طَلَعَتْ عشايا

فَبِعْ لِراعي غَنَمٍ كَسايا

أي : اشتر " [2].

وفي قوله (تعالى) : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [3]، يقول : " أخفيها وأظهرها بمعنى واحد "[4] .

ج- يذكر القراءات القرآنية ويوجه معانيها ، ففي قول الله (تعالى) : ﴿ ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ ننسأهَا ﴾ [5]، قال : " نؤخرها ومنه البيع بنسيئة ، أي : بتأخير ، ومنه : نسأ الله في أجلك. ومن قال : ننسها فمعناه: نتركها من النسيان ، ومنه : ﴿ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[6].

٤- يستشهد على المعاني اللغوية ليس بالفصيح من الحديث النبوي والشعر والمثل فحسب ، وإنما يذكر الفصيح من أقوال العرب سواء أكان مما سمعه عن بعضهم رواية أم كان من المشهور المتداول بينهم .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو في تهذيب اللغة [ب ا ع] وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٢٠.

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٧ولم أجد الرجز في غيره .

(٣) طه [١٥] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٣.

(٥) البقرة [١٠٦] .

(٦) التوبة [٦٧] . غريب القرآن وتفسيره ص ٢٩.

فمن الأول ما جاء في قوله (تعالى) : ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُم مُدْهِنُونَ ﴾ [1]، يقول : " أي : مكذبون ، والمدهنون : المكذبون ، والكافرون كلٌ قد سمعته ... "[2] .

ومن الثاني : قول الله (تعالى) : ﴿زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ ﴾[3] ، يقول : " لا شرقية تضحا للشرق ولا غربية تضحا للغرب ، ولكنها شرقية غربية يصيبها الشرق والغرب ، أي الشمس والظل ، يقولون : " لا خير في شجرة في مقناة " ، المقناة : ما كان

في أسفل الجبل مما لا تصيبه الشمس ، " ولا خير فيها في مضحاة " المضحاة : ما كان أعلا الجبل مما تصيبه الشمس ، وهي التي تبرز للشمس ولا يصيبها الظل " [4].

٥- يذكر اللهجات العربية المتعلقة بالمستوى الصوتي أو الصرفي أو الدلالي، وتارة ينسب اللهجة إلى قائليها وتارة لا ينسبها، فمن المستوى الصوتي قوله (تعالى) : ﴿ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[5]، قال : " يُلْحِدون ويَلْحِدون لغتان : يجورون ، والإلحاد الجور عن القصد ، والملحد : المائل عن الحق ، وإنما سمي اللحد [لحدًا] ؛ لأنه في ناحية من القبر ... " [6].

---

(١) الواقعة [٨١].

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ١٧٦.

(٣) النور [٣٥] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص١٢٨.

(٥) الأعراف [١٨٠] .

(٦) غريب القرآن وتفسيره ص ٦٧.

ومن المستوى الصرفي قوله (تعالى) : ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾[1]، يقول : " واتَّبعه لغتان ، فكأن أتبعه قفاه ، واتَّبعه مشدداً : حذا حَذْوه ولا يجوز أن تقول : أتبعناك وأنت تريد اتَّبعناك ؛ لأن معناه : اقتدينا بك " [2].

ومن المستوى الدلالي قوله (تعالى) : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾[3] ، قال : " [هيت] بلغة أهل حوران : تعالى . ومن قال : هئت لك فمعناه تهيأت لك – بالهمز " [4].

إلى غير ذلك من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع وهي كثيرة ومتنوعة أكتفي منها بما ذكرت خشية الإطالة في غير موضعها ،

وتكمن أهمية البحث في المحاولة الجادة من الباحث في الربط بين دلالة اللفظ في التفسير ودلالته في اللغة العربية في مرحلة مهمة من مراحل التاريخ اللغوي ، وهي مرحلة التقاء الفصاحةِ العربيةِ الثقافةَ الإسلاميةَ ، وهي مرحلة تعرف عند أهل اللغة بـ " عصر تدوين الرواية " ؛ فبينت المعنى الأصلي مما تفرع منه بوجه من أوجه التفرع الدلالي في اللغة ، مستشهدًا على ذلك بفصيح كلام العرب شعرًا ونثرًا ، ثم حددت نوع دلالة اللفظ في التفسير معزوًا للقائلين به ؛ فتبين من خلال البحث أن دلالة اللفظ في التفسير تارة تأتي من قبيل المعنى الأصلي للفظ في اللغة ، وتارة من قبيل المعنى الشرعي له ، وأخرى من قبيل الدلالة العرفية أو

---

(١) الأعراف [١٧٥] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٦٧.

(٣) يوسف [٢٣].

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص٨٣.

اللزومية أو السياقية أو غير ذلك من الدلالات اللغوية ، مما يجعل دلالة اللفظ في التفسير جزءاً من دلالته في اللغة ، وعلاقته باللغة علاقة الفرد بجماعته أو الخاص بعمومه .

هذا وقد واجهتني صعوبات كثيرة ومتنوعة عند المحاولة لربط الدلالات اللغوية للكلمة ، وذلك عند ردها جميعًا إلى المعنى أو المدلول الأصلي في اللغة ، وهو ما يعرف بالتأصيل الدلالي ، فتارة تكون اللفظة منتمية إلى معنى محوري عام يجمع تحته دلالات عدة ، وتارة ترجع دلالات اللفظة إلى أصل واحد تفرعت عنه بواسطة التطور الدلالي ، وتارة أخرى يكون التفرع أو التعدد لمدلولات اللفظ ناتج عن استعمال الكلمة في مجال معين من مجالات الحياة الاجتماعية عند العرب قديمًا أو حديثًا نسبيًا مما يعرف في الدرس الدلالي الحديث بالدلالة العرفية ، فقد ألجأني هذا التأصيل إلى مقارنة دلالات الكلمة بعضها ببعض في أكثر كتب المعاجم اللغوية القديمة ، حتى أتمكن من معرفة الأصلي من تلك الدلالات من الفرعي باحثًا مع ذلك عن السياقات و الظروف الخارجية التي تحيط باللفظة داخل الآية الكريمة المراد تفسيرها ، مستخدمًا لبعض قوانين التطور الدلالي عندما يخفى وجه التأصيل لمعاني الكلمة ، من ضرورة سبق الدلالة المحسة في تاريخ التطور للدلالة المعنوية المجردة ، وتقديم الأكثر استعمالاً على الأقل في كلام العرب وغير ذلك من الصعوبات ، وهي في مجملها هينة يسيرة إذ أضاف البحث جديدًا إلى المكتبة العربية ، وجاء موافقًا للغرض المنشود منه .

هذا والمنهج الذي سرت عليه في هذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي لمدلولات اللفظ في اللغة والتفسير حسبما جاء في كتاب غريب القرآن وتفسيره.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وتسعة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع ، أما المقدمة فقد تكلمت فيها عن التنوع الدلالي لألفاظ اللغة العربية التي حوتها المعجمات ، وأسباب اختيار الموضوع وأهميته ، وبعض الصعوبات التي واجهتني فى أثناء البحث والمنهج الذي سرت عليه ، وأما التمهيد فتناولت فيه المؤلف، والكتاب ومنهج المؤلف فيه ، وجعلت لكل نوع من أنواع دلالة اللفظ في التفسير مبحثًا خاصًا به، فجاء البحث في تسعة مباحث هي:

المبحث الأول : الدلالة الأصلية .

المبحث الثاني : الدلالة المجازية .

المبحث الثالث : الدلالة العرفية .

المبحث الرابع : الدلالة الشرعية .

المبحث الخامس : دلالة التخصيص .

المبحث السادس : دلالة التعميم .

المبحث السابع : الدلالة التضّمنية .

المبحث الثامن : دلالة الالتزام .

المبحث التاسع : الدلالة السياقية .

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي ظهرت لي من خلال البحث ، ، والله من وراء القصد وهو المستعان ، عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون .

تمـــهيد

المؤلف والكتاب :

أولا ـ : المؤلف :

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أبي محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، المعروف بابن اليزيدي ، كان أديبًا عالمًا عارفًا باللغة ، أخذ عن يحيى بن زياد الفراء وغيره ، وصنف كتابًا في غريب القرآن وكتابًا في النحو مختصرًا ، وكتاب الوقف والابتداء وكتاب إقامة اللسان على صواب المنطق .

روى عنه ابنا أخيه أبو العباس الفضل بن محمد بن يحيى وعبد الله بن محمد ، وجعفر بن محمد الأدمي وأبو حافظ الداني وغيرهم ، وكان

ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى يقول : ما رأيت في أصحاب الفراء أعلم من عبد الله بن محمد اليزيدي ، وخاصة في القرآن ومسائله . وقال عنه ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) : " مشهور ثقة أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن أبيه عن أبي عمرو [ابن العلاء] ... وله كتاب حسن في غريب القرآن ، توفى سنة سبع وثلاثين ومائتين للهجرة [١].

وأبوه يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدي العدوي،مولى لبني عدي بن عبد مناة من الرباب ؛ ولذلك سُمِّي العدوي . ولقب باليزيدي؛ لأنه كان منقطعًا إلى يزيد بن منصور الحميري، خال محمد المهدي " أمير المؤمنين " يؤدب ولده ، فعرف به ونسب إليه . كان من أئمة القراء الفصحاء ، عالًما بلغات العرب صحيح الرواية صدوق اللهجة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وكان يجلس في أيام الرشيد مع الكسائي ببغداد في مسجد واحد يقرآن الناس ، له من المصنفات : " النوادر " و" المقصور والممدود " و " النقط والشكل " وغيرها ، توفي سنة اثنتين ومائتين عن أربع وسبعين سنة[٢] .

وللمؤلف – أيضًا – إخوة من أهل العلم والفضل ، منهم إبراهيم ابن يحيى الإمام اللغوي الأديب الشاعر أبو إسحاق ، له مصنفات منها كتاب " مصادر القرآن " توفى سنة خمس وعشرين ومائتين ، وأخوه محمد بن

---

(١) ينظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٩٨/١ والفهرست لابن النديم ص ٧٥ والأنساب للسمعاني ٥/ ٦٩٣وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٤٦٣/١ ومعجم المؤلفين /عمر رضا كحالة ١٣٩/٦-١٦٣.

(٢)ينظر ترجمته في الفهرست ص٧٥والأنساب٦٩١/٥والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي١٧٣/٢.وشذرات الذهب لابن العماد ٤/٢

يحيى الأديب الشاعر اللغوي أبو عبد الله ، له شعر حسن كثير ، توفى بعد العشرين ومائتين [1].

وإذا كانت كتب التراجم التي وقفت عليها لم تسعفني في معرفة تاريخ ولادته ونشأته وحياته الثقافية ، إلاّ أنها أفصحت عن ثقافته ، وأنه نشأ وترعرع في بيت علم ، فأبوه وإخوته وأبناء إخوته قد سلكوا طريق العلم والأدب والتأليف مثله ، فهو إذًا كما يقول الصفدي(ت٧٦٤)هـ : " من البيت المشهور بالفضل ونقل القراءات واللغة والأخبار " [2].

ثانيًا : الكتاب:

جاء الكتاب في مخطوط بعنوان : " غريب القرآن وتفسيره " ، وهو الذي ورد في كتب التراجم بعنوان " غريب القرآن " والذي قال عنه بعض المترجمين لمؤلفه – كما سبق : " وله كتاب حسن في غريب القرآن " .

وقد قام بتحقيقه الدكتور /عبد الرزاق حسين ، الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – فرع الإحساء ، وطبع في مؤسسة الرسالة – بيروت للمرة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ، فيما يربو على المائتين وعشرين صفحة ، وله طبعة أخرى بتحقيق وتعليق / محمد سليم الحاج ط / عالم الكتب بيروت الأولى ١٩٨٥م .

---

(١) ينظر الفهرست ص٧٥ وديوان الإسلام لابن الغزي ٩٥/١ والوافي بالوفيات للصفدي ١٠٤/١١.

(٢) الوافي بالوفيات ١٠٤/١١ .

والكتاب من رواية محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، الإمام اللغوي المشهور المتوفى سنة عشر وثلاث مائة [1]، عن عمه أبي العباس الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيى اليزيدي ، أحد النبلاء والرواة العلماء ، برع في علم اللسان أخذ عن عمه عبد الله بن يحيى هذا الكتاب رواية ، وأخذ عن محمد بن سلام الجمحي ، وأخذ عنه جم غفير منهم ابن أخيه محمد ابن العباس ، توفي سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين [2].

منهج المؤلف فيه :

من خلال البحث في دلالات الألفاظ التي فسرها ابن اليزيدي ، تبين أن المنهج الذي سار عليه في مؤلفه هو الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي أو الجمع بين الرواية والدراية [3]، فهو إذ يفسر اللفظ بما

---

(١) ينظر ترجمته في تاريخ بغداد ١١٣/٣ والفهرست ٧٦ وسير أعلام النبلاء للذهبي٣٦١/١٤ وغاية النهاية ١٥٨/٢ وبغية الوعاة للسيوطي١٢٤/١.

(٢) ينظر تاريخ بغداد ٣٧٠/١٣وتاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي ٣٩٥/١١وتاريخ الإسلام للذهبي ٤١٥/٢٠ وبغية الوعاة ٢٤٦/٢ .

(٣) التفسير بالمأثور هو : ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة والتابعين مبينًا لمراد الله (تعالى) من كتابه ، ويسمى التفسير بالرواية . والتفسير بالرأي هو : التفسير بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالتها ، واستعانته في ذلك بالشعر العربي القديم ، وذلك بعد وقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن ، ويسمى التفسير بالدراية ، والتفسير اللغوي . ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١١/٢ والتفسير و المفسرون د/محمد حسين الذهبي

هو معروف في كلام العرب ويحدد المعنى اللغوي المراد منه في الآية ، ويستشهد – في بعض الأحيان – على ذلك بكلام العرب شعرًا ونثرًا ، نراه يجمع مع هذا التفسير بالمأثور عن رسول الله (ﷺ) والمشهورين من الصحابة وأئمة التابعين ، غير أن الإيجاز الذي التزمه في كتابه هذا جعله لا يذكر السند إلى من يروي عنه ، وإنما يشير إلى أنه من المأثور بقوله : " وفي التفسير كذا " أو " قال بعض المفسرين كذا " ويذكر المعنى المأثور في تفسير اللفظ دون عزوه إلى القائلين به إلاّ قليلاً .

ففي قول الله (تعالى) : ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[1] ، يقول :" فلا رفث : فلا لغو من الكلام ، واللغو واللغا : التكلم بما لا ينبغي،وقال المفسرون : هو الجِماع في هذا الموضع "[2]

فابن اليزيدي يذكر للفظ الرفث معنيين ، أحدهما : المعنى اللغوي المسمى بالتفسير دراية ، وهو اللغو المراد به في لغة الغرب عامة : الفحش والشتم ، والثاني : المعنى المأثور عن أئمة المفسرين وهو في هذه الآية الجماع خاصة ، وهذا المعنى هو المأثور عن ابن عباس (ﷺ) وعكرمة والحسن والضحاك وعطاء بن رباح كما سيأتي ذلك في الشرح.

وفي تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[3] يقول أبو عبد الرحمن : " الحَفَدة : الأعوان والخَدَم واحدهم حافد ،

١٥٤/١– ٤١/٤ ودراسات في التفسير ومناهج المفسرين د/ محمد كامل مهران ص ٤٠ ، ١١٣ وجهود سيبويه في التفسير د/ أحمد محمد الخراط ص٥ .

(١) البقرة [١٩٧] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص٣٤.

(٣) النحل [٧٢] .

وقالوا : الأختان في التفسير، ويقال : مرَّ فلان يَحْفِد حَفَدانًا، ومنه : " و إليك نسعى ونَحْفِد " أي : نسرع " [1].

فهو يذكر لكلمة " حفد " معنيين أحدهما : المعنى العرفي للكلمة في اللغة ، وهو الدلالة على الأعوان والخدم ، والثاني : معناها في التفسير بالمأثور عن ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك ، ثم يشير إلى المعنى الأصلي للكلمة في اللغة ، والذي تفرع منه المعنيان السابقان ، وهو الدلالة على الإسراع في الخطو ، ويستشهد له بما ورد في دعاء القنوت من حديث عمر بن الخطاب (ﷺ) مرفوعًا – كما سيأتي ذلك في الشرح .

كما أنه قد يقتصر – للإيجاز – على التفسير اللغوي فقط ، وهو المسمى بالتفسير بالرأي أو الدراية ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾[2] ، يقول : " نبتهل : نلتعن ، تقول العرب : ماله ؟ بهله الله أي : لعنه الله " [3] ، وفي قوله : ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾[4] يقول : " نصْف وعدل ، تقول العرب : قد دعاك إلى السواء فاقبل منه "[5] .

كذلك قد ينصُّ في بعض الآيات على التفسير بالمأثور دون التفسير اللغوي ، من ذلك قوله في تفسير قول الله (تعالى) : ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً ﴾ [6]: " السيد : الحليم في التفسير " [7]، وهو المروي عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك [8].

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص١٠٢.

(٢) آل عمران [٦١] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص٤٢.

(٤) آل عمران [٦٤] .

(٥)غريب القرآن وتفسيره ص٤٣.

(٦) آل عمران [٣٩] .

(٧) غريب القرآن وتفسيره ص ٤١ .

(٨) جامع البيان للطبري ٣٧٥/٦.

وفي قوله (تعالى) : ﴿ وَعَبَدَالطَّاغُوتَ ﴾[1] قال : " الطاغوت : الشيطان في التفسير" [2]، وهو التفسير المروي عن عمر بن الخطاب وقتادة والشعبي والضحاك والسُّدِّي[3].

المبحث الأول

الدلالة الأصلية

وهي المعنى المستفاد من اللفظ بحسب الوضع الأصلي له في اللفة [4]، أو هي : كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه ، ويقال لها الدلالة اللفظية الوضعية [5]، ويقال للمعنى المعبر عنه بتلك الدلالة : المعنى الأساسي ، أو الأولي أو المركزي ، وهو أبسط المعاني والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة [6]، والمراد بأولية المعنى أو أصالته هي الأولية النسبية لا المطلقة ، وهو أقدم معنى للفظ وصل إلينا من موروث العصر الجاهلي المتمثل في فصيح شعره ونثره ،

---

(١) المائدة [٦٠] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٤٩.

(٣) جامع البيان ٤١٦/٥ .

(٤) ينظر المثل السائر لابن الأثير ٧٤/١ وفي الدلالة اللغوية د/عبدالفتاح البركاوي ص ٣٦ بتصرف

(٥) ينظر التعريفات للجرجاني ١٤٠.

(٦) ينظر علم الدلالة د/أحمد مختار عمر ص ٣٦ والأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها د/ هادي نهر ٣٣٧.

وليس المراد به الأصالة المطلقة أو الوصول به إلى نشأة اللغة الإنسانية الأولى ، فهذا ما لا سبيل للوصول إليه في مجال البحث العلمي [١].

وقد سماه الإمام عبد القاهر الجرجاني " المعنى " ، وسمى ما يتفرع منه أو يتطور عنه من كناية واستعارة أو تمثيل " معنى المعنى" حيث يقول : " ... فههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول : "المعنى" و" معنى المعنى " ، تعني بالمعنى : المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ، و بـ " معنى المعنى " أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ... " [٢]، وقد أطلق على المعاني المفهومة من ظاهر اللفظ مصطلح " المعاني الأُول " وعلى " معنى المعنى " مصطلح : " المعاني الثواني " وعلى ذلك فالمعاني الأول هي : المفهومة من أنفس الألفاظ .. والمعاني الثواني هي التي يومأ إليها بتلك المعاني الأُول [٣].

هذا ومن خلال تتبع دلالة بعض الألفاظ في تفسير القرآن لابن اليزيدي والكشف عن مراحل تطورها تبين أن معناها في التفسير قد جاء على الدلالة الأصلية له في اللغة ، ومن هذه الألفاظ ما يلي :

أ- المحرر :

في قول الله (تعالى) : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[٤] قال ابن اليزيدي : " محررًا : عتيقًا لله ، وقالوا : خادمًا للبيعة في التفسير

---

(١) ينظر علم الاشتقاق نظريًا وتطبيقيًا د/ محمد حسن جبل ص١١١ – ١١٣.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٠٣ .

(٣) ينظر المصدر السابق ٢٠٤ وفي الدلالة اللغوية ص ٣٧.

(٤) آل عمران من الآية [٣٥] .

" [1]، فهو يفسر لفظ " محررًا " بالعتق ، وهي من الدلالة اللغوية له ، ثم يبين أن اللفظ في تفسير هذه الآية بمعنى الخدمة للبيعة " الكنيسة " خاصة . وظاهره أنه تفسير بما يلازم ضد معناه في اللغة ، وليس الأمر كذلك ؛ لاتساع الدلالة اللغوية لهذا اللفظ .

دلالة اللفظ في اللغة :

تفيد مادة " ح ر ر " في كلام العرب : خلوص الشيء وبراءته من الشوائب أو العيب والنقص ،يقال : حَرَّ الرمل يحرُّ حَرارًا وحُرِّية: إذا خَلُص من الاختلاط بغيره ، والطين الحُرُّ : الذي خلص من الرمل والحصاة والحَمْأة[2] والعيوب . ورجل حُرٌّ : إذا كان خالصًا لنفسه ، ليس لأحد عليه متعلق[3] ، قال الشاعر في الحر من الرمل :

وأَقْبَلَ كالشِّعْرى وضوحًا ونُزْهةً ∴ يُواعِس مِن حُرِّ الصَّريمةِ مُظْمًا[4]

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص ٤١ .

(٢) الأسود المنتن من الطين .

(٣) ينظر مقاييس اللغة لابن فارس والمصباح المنير للفيومي وتاج العروس للزبيدي[ح ر ر] .

(٤)البيت للأعشى من الطويل ، وهو في ديوانه ص١٨٨ وجمهرة اللغة لابن دريد ٢٥/١ ، والوعس : الرمل السهل ، وحر الصريمة : القطعة الخالصة منه ، والشِّعرى : كوكب معروف : يصف ثورًا .

ويقال : حرّرتُ الكتاب ، إذا خلَّصته وهذَّبته ، فلم يبق فيه ما يحتاج إليه من إقامة حروفه وإصلاح سقطه ، وتقول العرب في الرجل يُمدح : هو من حُرِّيَّة قومه ، أي من خالصهم ، وما في حرية العرب والعجم مثله [١]، قال ذو الرمة :

فصار حيًّا وطَبَّقَ بَعْدَ خَوْفٍ ∴ على حُرِّيَّةِ العربِ الهُزالى[٢]

والحُرُّ من الرجال خلاف العبد ، والحرة خلاف الأمة ، مأخوذ من ذلك المعنى ؛ لأنه خلص من الرّق [٣]، قال (تعالى) : ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى ﴾ [٤]، وقال الشاعر :

فَما رُدَّ تَزْويجٌ عليه شَهادَةٌ ∴ وما رُدَّ من بعد الحَرارِ عتيقٌ [٥]

هذه هي الدلالة الأصلية لمادة [ح ر ر] في اللغة ، ثم اكتسبت التعميم الدلالي والاتساع عن طريق المجاز ، فقيل لكل فاخر جيد من شعر أو غيره : حُرّ ، من ذلك الحُرُّ بمعنى : الحسن الجميل ،كأنه نقي من العيب والقبح [٦]، قال طرفة :

---

(١) ينظر العين للخليل وتهذيب اللغة للأزهري وأساس البلاغة للزمخشري [ح ر ر] .

(٢) البيت من الوافر وهو في ديوانه ص ٢٠٣ وتهذيب اللغة [ح ر ر] ، والهزالى : جمع هزيل ، وهو النحيف ، وطبق : من المطابقة وهي مشي المقيد .

(٣) المصباح المنير [ح ر ر] .

(٤) البقرة من الآية [١٧٨] .

(٥) البيت من الطويل وهو لشيخ من باهلة كما في تهذيب اللغة [ح ر ر] وبلا نسبة في المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده [ح ر ر].

(٦) ينظر تهذيب اللغة [ح ر ر] .

لا يَكُــــنْ حُبُّــــكِ داءً داخِــــلاً ∴ لَـيْسَ هـذا منْـكِ مـاوِيَّ بِحُـرْ [١]

أي : ليس هذا منك بحسن جميل .

والحُرُّ : الكريم على جهة الاستعارة ، كما يستعار العبد للئيم ، من ذلك قولهم : امرأة حُرَّة ، أي : كريمة ، وسحابة حرة : كثيرة المطر ، وناقة حرة : سريعة السير[٢] ، قال امرؤ القيس :

لَعَمْرُكَ ما قَلْبي إلى أَهْلِهِ بِحُرْ ∴ ولا مُقْصِرٍ يَوْمًا فَيأْتي بِقُـرْ [٣]

وقال الأعشى في وصف امرأة :

رَّةٌ طَفْلَــةُ الأَنامِــلِ تَرْتَــبٌّ ∴ سُــــخامًا تَكُفُّـــــه بخِـــــلالِ [٤]

وقال عنترة في – وصف السحابة بالجود والكرم – أيضًا :

جـاَتْ عليهـا كُـلُّ بِكْـرٍ حُـرَّةٍ ∴ فَتَـرَكْنَ كُـلَّ قَـرارَةٍ كالـدِّرْهَمِ [١]

---

(١) البيت من الرمل وهو في ديوانه ص٤٦ والعين [ح ر ر] ، وماويّ أصلها : ماويّة اسم امرأة ، وداخلاً : من الدَّخَل ، وهو الفساد .

(٢) ينظر تهذيب اللغة المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٩٤/١ وتاج العروس [ح ر ر] .

(٣) البيت من الطويل،وهو في ديوانه ص٩٨وتهذيب اللغة[ح ر ر]، وقوله إلى أهله أي: إلى صاحبته، بحر أي : بكريم؛ لأنه لا يصبر ولا يكف عن هواه فيصبو إلى غير أهله ، فليس هو كريم في فعله، والقَر : الراحة . .

(٤) البيت من الخفيف وهو في ديوانه ص١٦٤ وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ٣٦ ، وطفلة الأنامل :رخصة الأصابع ، وترتبٌ : من الرُّبّ ، و السخام : السواد ، والمراد هنا الشعر الأسود اللين ، أي تربه بالدهن ، والخلال جمع خلالة ، عود من الخشب يشد به الشعر .

وجمع الحُرِّ : أحرار ، وجمع الحُرَّة : حرائر على غير قياس ؛ لأنها بمعنى كريمة وعقيلة فجمعت كجمعها[٢] .

وبالجملة فإفادة لفظ الحُرِّيَّة وما تفرع منها هو : التخليص ، حتى قيل في تعريف التحرير : التهذيب وأخذ الخلاصة وإظهارها ، بمنزلة جعل الشيء حرًّا خالصًا، واسم للأمر المنتفع به [٣].

دلالة اللفظ في التفسير :

وأما تفسير قوله (محررًا) فقد أثر عن أئمة المفسرين فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : أن معنى المحرر العتيق لله من كل شغل من أشغال الدنيا ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير ، وهو المروي – أيضًا – عن أبي عبيدة [٤]، وبه قال ابن اليزيدي – كما تقدم .

الثاني : " محررًا " خادمًا للبيعة أو[الكنيسة] ، وهو قول ابن عباس ومجاهد [٥]، وبه قال ابن اليزيدى – أيضًا .

---

(١) البيت من البسيط ، وهو في ديوانه ص٨١ وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٦ ، والبكر من السحاب : السابق مطره والجمع : أبكار ، والحرة : الخالصة من البرد والريح ، والقرارة : الحفرة .

(٢) تاج العروس [ح ر ر] .

(٣) التعاريف للمناوي ص ١٦٣ .

(٤) ينظر مجاز القرآن ١٨/١ وجامع البيان للطبري ٣٢٩/٦ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٥٥/٢.

(٥) ينظر صحيح البخاري ١٧٥/١ وجامع البيان ٢٩/٦ وأحكام القرآن للجصاص ٢٩١/٢ وروح المعاني للألوسي ١٣٤/٣ .

الثالث : أنه مُخْلَصًا للعبادة ، قاله الشعبي [1].

فمن هذا العرض يتبين أن التفسيرات الثلاثة لا تخرج عن الدلالة اللغوية الأصلية للفظ "محرر"؛ لأن المقصود من الحرية في هذه الآية ألاّ يجري على المحرر حكم السبي ، وألا تتملكه الأخلاق الرديئة والرذائل الدنيوية[2]، فهي مأخوذة من التحرر بمعنى التخلص ، هذا على القولين الأول والثالث ، وعلى القول الثاني " خادمًا للبيعة " معناه – أيضًا – إفراده لها وتخلصه لخدمتها ، لا يشغله عن ذلك شيء ، من قول أهل اللغة : حرَّره لأمر كذا ، أي : أفرده له لا يشغله بغيره [3]، قال الطاهر بن عاشور : " وإطلاق المحرر على هذا المعنى إطلاق تشريف ؛ لأنه لما خلص لخدمة بيت المقدس فكأنه حُرِّر من أسر الدنيا وقيودها إلى حرية عبادة الله (تعالى) " [4].

ب – عضين :

في تفسير قول الله (تعالى) :﴿ لَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾[5] قال أبوعبدالرحمن : " فرّقوه [و] عضَّوه أعضاءً ، فآمنوا ببعض ولم يؤمنوا ببعض ، وقال بعض المفسرين : جعلوه سحرًا ، والعرب تقول للسحر : العِضة ، والعِضة : الكذب وجمعها عِضون ، وهو من العضيهة ، وقال الشاعر :

---

(١)ينظر جامع البيان ٣٢٩/٦ وأحكام القرآن للجصاص ٢٩١/٢ والنكت والعيون للماوردي ٣٨٧/١ .

(٢) ينظر روح المعاني ١٣٤/٣ .

(٣) ينظر ديوان الأدب للفارابي ٣٠٩/١ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٣٢/٣ .

(٥) الحجر الآية [٩١] .

* للماءِ مِنْ عِضاتهنَّ زَمْزَمة * " [1].

فابن اليزيدى يفسر كلمة " عضين " بمعنيين مختلفين ، أحدهما أنها جمع عضة من عضَّيْتُ الشيء : إذافرَّقتُه وجزّأته ، والمعنى الثاني من العَضْه وهو السحر ، ويستشهد للمعنى الثاني ببيت من الرجز ، وليس بين المعنيين تقارب في الدلالة ، فكل منهما يرجع إلى أصل مغاير لما ينتمي إليه الآخر .

تصريف اللفظ ودلالته في اللغة :

عضين جمع عضة بزنة " فعة " ، حذفت لامها في التصريف ، وقد اختلف أهل اللغة والعربية في المحذوف منها ، كما اختلفوا في اشتقاقها ، فقال بعضهم : أصلها عِضوة بزنة " فِعلة " ، جعلوا المحذوف منها واوًا ، ونظيرها في اللغة عِزة وأصلها عِزوة ، وثُبة وأصلها ثُبَوة ، وإنما كان المحذوف عندهم الواو ؛ لأنها تُردُّ في الجمع الصحيح ، فيقال : عِضوات [2]. قال الشاعر :

هذا طَرِيقٌ يَـأْزِمُ المآزِما

---

(١) غريب القرآن وتفسيره ص ٩٣ والبيت من الرجز ، وهو في جامع البيان ١٤٥/١٧ والنكت والعيون ١٧٣/٣، وقوله : عضاتهن ،يعني سحرهن ، والزمزمة : تتابع الصوت .

(٢) ينظر تهذيب اللغة [ع ض و] وشرح الشافية لابن الحاجب ٦٦/٢ وشذور الذهب لابن هشام ص ٧٧ ، والعزين : الجماعات في تفرقة ، وثبة : جمعها ثُبات ، وهي من ثبيت الشيء ، إذا جمعته .

وعِضَواتٌ تَقْطَعُ اللَّهازِما [1].

وهي حينئذ مشتقة من قولهم : عضَّيْتُ الشيء تعضية: إذا فرّقته وعَضا اللحم والجز ور يَعْضُوه عَضْوًا : فرقه ، وعلى ذلك فالعضة : الفرقة من الناس ، وأيضًا – القطعة من الشيء ، قال الكسائي: في الدار فِرَقٌ من الناس وعِزون وعِضون وأصناف بمعنى واحد [2] .

وعلى تلك الدلالة جاء قول الشاعر :

وعَضَّى بني عَوْفٍ فأمَّا عَنُوَّهم .:. فأُرضى وأَمَّا العِزَّ منهم فغَيَّرا[3]

يعني بقوله: وعضّى: سبّاهم وقطّعاهم بألسنتهما، وقال رؤبة:

* وليس دينُ الله بالمُعَضّى *[4]

يعني : بالمفرّق ، ومن ذلك سمّي العضو من الإنسان وغيره من الحيوان عضوًا ، وجمعه أعضاء ، وهو كل عظم وافر من الجسد بلحمه [5].

وفي حديث النبي (ﷺ) : (لاَ تَعْضِيَةَ عَلَى أَهْلِ الْمِيرَاثِ إِلاَّ مَا حَمَلَ الْقَسْم) [1]، يعني : أن ما لا يحتمل القسْم كالحبة من الجوهر ونحوها لا

---

(١) البيتان من الرجز ، ولم أقف على قائلهما ، وهما في الخصائص لابن جني ١٧٢/١ والمحكم والمحيط الأعظم [ع ض و] ، والمآزم جمع مأزم وهو المضيق ، واللهازم جمع لهزمة ، وهي أصل الحنك .

(٢) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [ع ض و] .

(٣) البيت من الطويل ، وهو في جامع البيان ١٤٧/١٧ والكشف والبيان للثعلبي ٣٥٣/٥ .

(٤) من الرجز وهو في ديوانه ص والعين [ع ض و] .

(٥) ينظر العين والمحكم [ع ض و] .

يُفَرَّق ، وإن طلب بعض الورثة القسْم؛ لأن فيه ضررًا عليهم أو على بعضهمولكن يُباع ثم يقسم ثمنه بينهم بالفريضة[٢].

وبعض أهل اللغة يرى أن اللام المحذوفة هاء ، فأصل العِضة : عِضْهَة ، ونظيرها : شفة والأصل شفهة ، وكذلك سنة والأصل سنهة لأنها تجمع على عِضاه مثل: شفاه؛ فتُرَدُّ الهاء في الجمع وتصغر على عُضَيْهَة بردّ الهاء – أيضًا [٣].

وهي عندهم مشتقة من مادة [ع ض هـ] التي تفيد في اللغة مطلق الإيذاء محسًّا كان أو معنويًّا ، وأصلها من العضاه : شجر شوك يؤذي ويجرح [٤]، قال الجوهري : " العِضاه : كل شجر يَظْلُمولـه شوك وواحدة العضاه عضاهة وعِضْهَة وعِضَة ، بحذف الهاء الأصلية كما حذفت من الشفة "[٥] . قال الشاعر :

تاللهِ نَكْفُرُهم ما أَوْرقَتْ عِضَةٌ ∴ وكان بالأَرضِ منْ أَعْلامِها عَلَّم[٦]

وقال الآخر في جمعها :

فَأَقْسَمْتُ لا أَنْساك ما لاحَ كَوْكَبٌ ∴ وما اهْتَزَّ أَغْصانُ العِضاهِ بأَسْوقِ[٧]

---

(١) في السنن الكبرى للبيهقي ١٣٣/١٠ وكنز العمال للمتقي الهندي ٩/١١.

(٢) ينظر الصحاح للجوهري والنهاية لابن الأثير [ع ض و] .

(٣) ينظر شرح شافية ابن الحاجب ٦٦/٢ وشذور الذهب ص ٧٧ .

(٤) ينظر العين [ع ض و] وفتح القدير للشوكاني ٢٠٤/٣ .

(٥) الصحاح [ع ض و] .

(٦) من البسيط وهو لقيس بن الحطيم في ديوانه ص ٢٩ ،والأعلام : الجبال.

(٧) البيت من الطويل وهو للشماخ ولم أجده بهذه الرواية في ديوانه ، وهو في إسفار الفصيح للهروي٨٠٤/٢ ولسان العرب [س و ق].

ومن معنى الإيذاء قولهم : عَضه البعيرُ عَضْهًا ، فهو عَضِه وعاضه ، إذا اشتكى من أكل العِضاه [1]، قال الشاعر :

وقَرَّبُوا كُلَّ جُما لِيٍّ عَضِهْ

قَرِيبةٌ نُدْوتُهُ مِنْ مَحْضِهْ [2].

والحيَّة العاضه : التي تقتل إذا نهشت من ساعتها ، والعضيهة الإفك والبهتان والقول الزور ، يقولون : يالَلْعضيهة ويالأفيكة ويالبهيتة ، بكسر اللام وفتحها ، الكسر على معنى اعجبوا لهذه العضيهة ، والفتح لمعنى الاستغاثة ، يقال ذلك عند التعجب من الإفك العظيم [3]، وهو من الإيذاء غير المحس على سنن التطور الدلالي بالمجاز والاستعارة ، قال الشاعر :

* إنَّ الَعضيهةَ لْيَت فُوَ أَحْوار *[4]

والَعْضه والعِضَه : الكذب وجمعه عِضُون ، يقال : عَضِه الرجل فلانًا عَضِهًا وعضيهةً : بَهَتهُ وقال فيه ما لم يكن ، ومنه حديث عبادة بن الصامت (ﷺ) : " أخذ رسول الله (ﷺ) علينا في البيعة : لا يَعْضَه بَعْضُنا

---

(١) ينظر إسفار الفصيح ٨٠٤/٢ والمحكم وتاج العروس [ع ض ه].

(٢) البيتان لهميان بن قحافة السعدي من الرجز ، وهما في العين والصحاح [ع ض ه] ، والمحمض : الموضع الذي ترعى فيه الإبل الحمض ، والنُّدوة : موضع شرب الخيل أو الإبل .

(٣) ينظر تهذيب اللغة والصحاح وأساس البلاغة [ع ض ه] .

(٤) شطر بيت من البسيط لم أقف على قائله وهو في تفسير النكت والعيون للماوردي ١٧٣/٣ .

بَضًا "[1] ، أي : لا يرميه بالعضيهة ، ومعناه : أن لا يقول فيه ما ليس فيه [2].

والعِضَة والعضين في لغة قريش : السحر ، وهم يقولون للساحر عاضهٌ [3]، قال الشاعر :

أَعــوذُ بربِّــي مِــن النَّافِثــا .:. تِ فـي عُقَـدِ العاضِـهِ الْمُضَـهِ[4]

ومنه الحديث عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : " لعن رسول الله (ﷺ) العاضِهَةَ والْمُسْتَعْضِهةَ " ، وفسره : الساحرة والمستسحِرة [5].

وإنما سمي السِّحر عِضْهًا ؛ لأنه كذب وتخيل لا حقيقة له [6]، أو لأنه يؤذي المسحور كما قال (تعالى) : ﴿ وَمَاهُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [7]. والعرب تقول : بينهم عضيهة قبيحة ، أي : قالة فرقت بينهم [8]، وفي حديث عبد الله بن مسعود عن النبي (ﷺ):أَلاَ أُنَبِّئُكُم بِالْعَضْهِ ؟الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْفَارِقَةُ بين الناس"[9].

---

(١) صحيح مسلم ٣٣٣/١٤ ومسند أحمد ٣٢٠/٥ .

(٢) ينظر غريب الحديث للحربي٩٣٢/٣ والصحاح وأساس البلاغة ولسان العرب لابن منظور [ع ض هـ] .

(٣)الصحاح [ع ض هـ] .

(٤) البيت من المتقارب ولم أقف على قائله وهو في العين وتهذيب اللغة [ع ض هـ]

(٥) مصنف عبد الرزاق ١٤١/٣ والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير [ع ض هـ] وكنز العمال للمتقي الهندي ٦٠٤/١٦ .

(٦) تاج العروس [ع ض هـ] .

(٧) البقرة من الآية [١٠٢] .

(٨) ينظر مشكل الآثار للطحاوي٣٦٣/٥ وتاج العروس[ع ض هـ].

(٩) مسند أبي يعلى ٣٤٥/٩ ومشكل الآثار ٣٦٢/٥ .

كل هذا مأخوذ من معنى الأذية . إذن فكلمة " عضة " وإن اتحدت في صورة اللفظ بعد التصريف – إلا أنها اختلفت من حيث التأصيل الدلالي والاشتقاق ، فالعضة بمعنى التفرقة مشتقة من الأصل اللغوي [ع ض و] ، وهي بمعنى الإيذاء مأخوذة من الأصل [ع ض هـ] ، فاللفظ حينئذٍ من المشترك اللفظي ، أو مما اتحد لفظه واختلف معناه .

دلالة اللفظ في التفسير :

وعلى المعنيين السابقين في اللغة جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾، فقد روي عن سعيد بن جبير ، والضحاك عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : هم أهل الكتاب ، جزَّؤوا القرآن أجزاءً فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، وذلك قولهم : ما وافق منه كتابنا فهو صدق ، وما خالف كتابنا فهو كذب [1]، فتكون جملة : " الذين جعلوا القرآن عضين " صفة للمقتسمين [2]، وهذا التفسير هو المأثور عن النبي (ﷺ) ، فقد أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : سأل رجل النبي (ﷺ) قال : أرأيت قول الله (عز وجل) ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ ، من المقتسمين ؟ قال : "اليهود والنصارى " ، قال : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ ، قال : " آمنوا ببعض وكفروا ببعض"[3].

وقيل : المقصود من الذين جعلوا القرآن عضين هم كفار قريش فرقوا القول فيه ، فجعلوه كذبًا وسحرًا وكهانة وشعرًا ، وهو قول عطاء

---

(١) ينظر جامع البيان ١٧/ ١٤٥ والكشاف للزمخشري ٢/٥٥٠ والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٤/٥ .

(٢) ينظر إعراب القرآن لابن سيده ٦/١١٦ .

(٣) المعجم الأوسط ٦/٢٠٧ .

[1]، فتكون جملة (الذين جعلوا القرآن عضين) في محل نصب بـ " النذير " ، أي : أنذر المعضين الذين يجزّؤون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين [2].

فيكون التفسير في القولين جاء على الدلالة الأولى ، وأن عضة من الإعضاء بمعنى التفرق .

وقيل : إن المراد من قوله (عضين) أن المشركين سموا القرآن سحرًا خاصة دون غيره من معاني الذم على الدلالة المعروفة في لغة قريش، وهو المروي عن عكرمة ومجاهد [3]، فيكون التفسير موافقًا للدلالة الثانية في اللغة والعضين من العضيهة .

فكأن الآية الكريمة بيَّنت موقف المشركين الرافض للقرآن بمحض العداوة والافتراء ، فصورت عن طريق الحديث أن المقتسمين هم المشركون من أهل الكتاب [اليهود والنصارى] ، وبينت عن طريق القرآن أنهم كفار قريش في كثير من الآيات ، كما في قوله (تعالى) : ﴿ وَما هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[4]، وقوله : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [5]، وقوله:

---

(١) ينظر جامع البيان ١٤٥/١٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٩/١٠ والنكت والعيون ١٧٣/٣.

(٢) ينظر إعراب القرآن ١١٦/٦ والكشاف ٥٥٠/٢ .

(٣) ينظر جامع البيان ١٤٨/١٧ .

(٤) الحاقة [٤١ ، ٤٢] .

(٥) النحل [٢٤] .

(فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)[1]، إلى غير ذلك من الآيات.

جـ طوبى :

في تفسير قول الله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) [2]، قال عبد الله : " طوبى لهم : نعم ما لهم وقال المفسرون : طوبى لهم شجرة في الجنة ، وطوبى لهم خير لهم " [3].

فقد ذكر للفظ ثلاثة معانٍ ، الأول منها والثاني يعدّ تفسيرًا عامًا ولعله يقصد به بيان معنى الكلمة في اللغة ، ويجعل المعنى الثاني خاصًا باسم شجرة في الجنة ، وينسبه للمفسرين ، وهو التفسير المأثور عن رسول الله (ﷺ) ، فقد روي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال له رجل : يا رسول الله ما طوبى ؟! قال (شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْهَا)[4].

دلالة اللفظ في اللغة :

تدل مادة [ط ي ب] في اللغة على الشيء الحسن ، الذي تستريح له النفس وتطمئن إليه ، وهو ضد الخبيث [5]، قال الراغب الأصفهاني: " أصل الطيب ما تستلذه الحواس وتستحسنه النفس "[6]، يقال طاب الشيء

---

(١) المدثر ٢٣، ٢٤ .

(٢) الرعد الآية [٢٩] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٨٨ .

(٤) صحيح بن حبان ١٦/ ٤٢٩ وكنز العمال ٥٣٥/١١ .

(٥) ينظر مقاييس اللغة لابن فارس [ط ي ب] .

(٦) المفردات ص٣٠٩ .

طِيبًا وطابًا : لذّ وزكا ، وأطاب فلان الشيء واستطابه : وجده طيّبا ، والعرب تقول : أطعمنا من مطايب الجزور وأطايبه ، وهو نحو كبده وسنامه ، وهذا شراب مَطْيبة للنفس ، أي تطيب النفوس إذا شربته، واستطبناهم : سألناهم ماءً عذْبًا[1] .قال الشاعر :

نحنُ أَجْنا دُونها الضِّرابا
إنَّا وَجَدْنا ماءها طُيَّابا [2].

ويقولون – أيضًا : ذهب من فلان الأطيبان ، أي الأكل والنكاح أو الشباب والنكاح [3]، كل ذلك مما يستلذ ويستطاب لدى النفس . قال نهشل بن جزيّ :

إذا فاتَ مِنْكَ الأَطْيبانِ فَلا تُبلْ ∴ مَتى جاءَكَ اليومُ الَّذي كُنْتَ تَحْذُر[4]

وفي قول الله (تعالى) : ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [5]، قال ثعلب : هو الحسَن ، وكذلك قوله :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[6]، إنما هو الكلم الحسن – أيضًا – كالدعاء ونحوه [7].

هذه هي الدلالة الأصلية في لغة العرب، ولعلها من موروث الأصل السامي في اللغة ، إذ تشترك معها في دلالة هذا اللفظ على معنى الحسن بعض اللغات السامية الأخرى، كالعبرية والسريانية والحبشية وغيرها ،

---

(١) ينظر الصحاح والمحكم والأساس [ط ي ب] .
(٢) من الرجز وهو في الصحاح واللسان [ط ي ب] .
(٣) ينظر جمهرة اللغة لابن دريد ١ /١٠٢ وتهذيب [ط ي ب] .
(٤) البيت من الطويل ، وهو في مجمع الأمثال للميداني ١/ ٢٨١ وأساس البلاغة [ط ي ب] ..
(٥) الحج من الآية [٢٤] .
(٦) فاطر من الآية [١٠] .
(٧) المحكم والمحيط الأعظم [ط ي ب] .

فالفعل " طاب " taba بمعنى " حَسُن " يقابله في اللغة العبرية : yatab وفي آرمية العهد القديم : ytab ، وفي السريانية : teb، وفي الآشورية : tabu ، والصفة " طيِّب " بمعنى " جيِّد " تقابل في العبرية tob ، وفي السريانية tabaبمعنى طيب / جيد [١].

وكلمة " طوبى " في قول العرب : " طوبى لك " فُعْلى من الطيب – أيضًا – وكانت في الأصل : طُيبى ؛ فقلبت الياء واوًا لانضمام الطاء قبلها ، ومعناها : الحسنى أو الخير والنعمة والعيش الطيب لك [٢]، قال الشاعر :

طُوبَى لَمَنْ يَبْتَبِلُ الطَّوْدَ بالقُرى

ورِسْلاً بِـ يَقْطِينِ العِراقِ وفُومِها[٣]

ومن ذلك الحديث : (طُوبَى لِلشَّامِ ، قِيلَ : وَلِمَذَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا)[٤] .

وهو من الدلالة الأصلية للفظ " طيب " في اللغة .

إلا أن اللفظ اكتسب معانى أخرى بفعل التطور أو التغير الثقافي والديني في المجتمع العربي، فاستعمل في لازم معناه ، أو في الدلالة اللزومية ، فكني به عن الشرف ورفعة النسب ، قال ابن سيده : " بيت طيَّب يُكْنى به عن شرفه وصلاحه وطيب أعراقه، وفي حديث طاووس أنه

---

(١) معجم المشترك السامي في اللغة العربية د/ حازم على كمال الدين ص ٢٦٣ .

(٢) ينظر المحكم وتاج العروس [ط ي ب] .

(٣) البيت من الكامل ، وهو في الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٣٨٩/١ واللسان [ط ي ب] ، والرِّسل : اللبن ، والطود : الجبل ، واليقطين : القرع ، والفوم : الخبز والحنطة .

(٤) من رواية زيد بن ثابت (ﷺ) في سنن الترمذي ٧٣٤/٥ والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢٤٩/٢ .

أشرف على علي بن الحسين (رضي الله عنهما) ساجدًا في الحجر فقال : " رجلُ صالحُ مِنْ بَيْتٍ طَيِّب " [1].

واكتسب من ظهور الإسلام الدلالة الشرعية ، فاستعمل الطيب في معنى الحلال ؛ لعلاقة المجاز ؛ لأن الحلال تستطيبه النفس وتطمئن إليه، فالطَّيِّب والطَّيِّبة: الحلال، وكل مأكول حلال مستطاب، وأطاب فلان : تزوج حلالاً ، والطيبات : الغنائم يقولون : هذا سبي طِيَبة أي طيب حلّ ليس من غدر ونقض عهد ، وهو سبي من تجوز حربه من أهل الكفر[2] ، كل هذا من الدلالة الشرعية ، قال الراغب الأصفهاني : " الطعام الطيِّب في الشرع : ما كان متناولاً من حيث ما يجوز ، وبقدر ما يجوز ، ومن المكان الذي يجوز ؛ فإنه متى كان كذلك كان طيبًا عاجلاً وآجلاً لايستوخم ، وإلا فإنه – وإن كان طيِّبًا عاجلاً لم يطب آجلاً ، وعلى ذلك قوله (تعالى) : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم ﴾ [3]، ... والطيب من الإنسان ما تعرّ من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال ، وتحلّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال ، وإياهم قصد بقوله:﴿ الَّذِينَتَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[4]...﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً ﴾[5]، أي : طاهرة ذكية مستلذة ..."[6].

وعلى هذه الدلالة جاء بيت الشعر :

---

(١) المحكم [ط ي ب] .

(٢) ينظر تهذيب اللغة والمحكم وأساس البلاغة [ط ي ب] .

(٣) البقرة من الآية [١٧٢] .

(٤) النحل من الآية [٣٢] .

(٥) التوبة من الآية [٧٢] .

(٦) المفردات ص ٣٠٩ .

لَما ضُمِّنَالأَحْشَاءُ منك عَلاقَةً ** ولَا زُرْتَنَا إلّا وأَنْتَ طُيبُ [1].

وهذا قالته امرأة لخدنها تصفه بالعفة ؛ ولذلك قالت :

..... ** ولا زُرْتَنَا إلَّا وأَنْتَ طُيب .

أَيمتَزوج . وقيل: أرادت وصف لذة الوصال معه ، والحَرام عند العُشَّاق أَطيبُ [2]، فيكون لفظ " مطيب " جاء على الدلالة الأصلية.

فلا تضاد إذن بين لفظ " المطيب " بمعنى المستلذّ ، وإن كان حرامًا – كما جاء في بيت الشعر على القول الثاني – وبين " الطيبات " في قوله (تعالى) (كلوا من طيبات ما رزقناكم) فالأول جاء على الدلالة الأصلية ،والثاني جاء على الدلالة الشرعية أو المفهوم الشرعي.

دلالة اللفظ في التفسير :

اختلف أهل التفسير في بيان قوله (تعالى) : (طوبى لهم) ، وورد عنهم فيها عدة أقوال :

أحدها : معنى طوبى لهم : فرح لهم وقرة عين ، قاله ابن عباس .

الثاني : معناه : نعم ما لهم ، قاله عكرمة .

الثالث : معناه : حسنى لهم ، قاله قتادة .

الرابع : معناه : خير لهم ، قاله إبراهيم النخعي .

الخامس : معناه : غبطة لهم ، قاله الضحاك [1].

---

(١) البيت من الطويل ، وهو في تهذيب اللغة واللسان [ط ي ب] ، والعلاقة : الحب اللازم للقلب ، والأحشاء : جمع الحشا ، وهو ما بين آخر الأضلاع إلى الورك ، كالكبد والطحال وغيرهما .

(٢) ينظر تهذيب اللغة [ط ا ب] .

وهذه الأقوال على اختلافها متقاربة في المعنى ، فتكون قد جاءت على الدلالة الأصلية للفظ في اللغة ، وهو أن " طوبى " مشتقة من الطيب ، أي أنها داخلة في معنى ما تستطيبه النفس وتستلذه الحواس[٢].

وللفظ تفسيرات أخرى في هذه الآية – أيضًا ،

أحدها : أن طوبى اسم شجرة في الجنة ، قاله مجاهد وهو المروي عن رسول الله (ﷺ) – كما تقدم .

الثاني : أن طوبى اسم الجنة باللغة الحبشية ، وهو قول ابن عباس من رواية سعيد بن جبير .

الثالث : أنها اسم الجنة بالهندية ، وهو قول عبد الله بن مسعود وسعيد بن مشجوع .

وقال الربيع بن أنس : هي البستان بلغة الهند [٣]. فتكون الكلمة قد جاءت على الدلالة الأصلية أيضًا – وأنها مما وافقت فيه لغةُ العرب اللغات القديمة الأخرى السامية منها كالحبشية ، أو غير السامية كالهندية عن طريق التأثر بالتجارة والاتصال الحضاري قديمًا[٤].

---

(١) ينظر جامع البيان ١٦ / ٤٣٢ وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٤٧ والنكت والعيون ٣/ ١١١ .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٢١٦ .

(٣) ينظر جامع البيان ١٦/ ٤٣٢ والكشف والبيان للثعلبي ٥/ ٢٨٨ ومعالم التنزيل للبغوي ٣١٦/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/٩ والنكت والعيون ١١١/٣ .

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١٦ .

ويلحظ أن ابن اليزيدي قد اكتفى في تأويل هذه الكلمة بالتفسيرات الثلاثة السابقة ؛ للاختصار ولأن جميع الأقوال المأثورة داخلة في الدلالة الأصلية للكلمة في اللغة .

المبحث الثاني

الدلالة المجازية

هي انتقال اللفظ من معناه الأصلي الموضوع له في اللغة إلى معنى أخر غيره ؛ لعلاقة أو مناسبة بين المعنيين [1].

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في استعمال اللفظ في المعنى الأصلي له والمعنى المنقول إليه مجازًا : "وذاك أن العادةَ قد جرتْ بأن

---

(١) ينظر المثل السائر لابن الأثير ٧٤/١ .ومعالم الدلالة اللغوية د/إبراهيم عبدالله الغامدي ص ١١٩.

يقالَ في الفرق بين الحقيقة والمجاز : إنَّ الحقيقةَ أنْ يُقَرَّ اللفظُ على أصْلِه في اللغة ، والمجازَ أنْ يُزالَ عن موضعه ويستعملَ في غيرِ موضِعَ له فيقالَ : أسدٌ ويرادَ شجاعٌ ... فالتجوُّزُ في أن ادَّعيتَ للرجل أنه في معنى الأسد ، وأنه كأنه هو في قوة قلبه وشدةِ بطشه وفي أنَّ الخوفَ لا يخامُره والذُّعْر لا يعرضُ له "[1] .

والعلاقة بين المعنيين إن كانت المشابهة سمي المعنى المنقول إليه مجازاً بالاستعارة ، وإن كانت غير المشابهة ، بأن كانت السببية أو المسببية ، أو الزمانية أو غير ذلك من باقي أنواعها سمى المجاز مجازاً مرسلاً [2] .

غير أن مقام البحث لا يقتضي التطويل – هنا – في تقسيم العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، كما لا يتعرض أيضا للناحية البيانية أو البلاغية ، التي تكمن في المجاز دون الحقيقة ، فهذه أو تلك أولى بها مجال النقد البلاغي أو الأدبي ، وإنما يتناول المجاز أو الانتقال على أنه مظهر من مظاهر التطور الدلالي في اللغة لجأ إليه العربي – قديمًا – عندما عزّت عليه الألفاظ التي يمكن أن تعبر عن المعنى المراد تعبيرًا حقيقًيا بالأصالة أو عندما توجد الألفاظ الحقيقية ، ويريد المتكلم أن يتوسع في التعبير بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بهدف دلالي ، كإخراج المعنوي في صورة المحسّ لتمكينه في ذهن المخاطب أو توضيحه [3].

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٧٦/١ .

(٢) ينظر العربية خصائصها وسماتها د/ عبد الغفار حامد هلال ص٣٣٤ .

(٣) ينظر دلالة اللفظ أطوارها وأنواعها د/ عيد محمد الطيب ص١٢٨ ، ١٤٦ .

فالعربي عندما لم تسعفه ألفاظ لغته في إيجاد مسمى للماء داخل البئر استعار له لفظ " العين " ، فقال : عين البئر ونقلها من استعمالها الحقيقي في عين الإنسان أو غيره من الحيوان إلى ماء البئر ؛ لعلاقة المشابهة ، وجاء القرآن الكريم فاشتق منها لفظ معين في قوله (تعالى) : ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [1]، وعندما أراد الاتساع ولخراج المعنوي المجرد في صورة المحس استعمل لفظ الذروة لعلو الشرف والمجد والنسب ، وهي في الأصل للشيء المرتفع المحس من جبل أو سنام أو غيره . ومن ذلك مجيء الصراط في القرآن بمعنى الإسلام ، وهو في أصل الاستعمال اللغوي للطريق الواضح كما في قوله (تعالى): ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2]،

هذا وقد جاءت ألفاظ من القرآن الكريم على الدلالة المجازية دون غيرها من الدلالات الأخرى ، لوحظ ذلك من خلال ربط المعنى اللغوي للفظ بمفهومه التفسيري عبر مراحل الاستعمال اللغوي من ذلك :

أ – " السائح "

كما في قوله (تعالى) : ﴿ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾ [3]، قال أبو عبد الرحمن اليزيدي : " السائحون في التفسير : الصائمون " [4].

فقد أورد معنى الكلمة في التفسير، ولم يبين معناها في اللغة، وما ذكره في التفسير هو المعنى المأثور عن رسول الله (ﷺ) في رواية أبي

---

(١) الملك الآية [٣٠] وينظر المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٥ .

(٢) الشورى [٥٢] وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٥٨٢/٦ .

(٣) التوبة من الآية [١١٢] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٧٦ .

هريرة : (السَّائِحُونَهُ ُم الصَّائِمُونَ) [١]، وفي رواية أخرى : (سياحة أمتي لصيام)[٢] .

دلالة اللفظ في اللغة :

تدل مادة [س ي ح] في كلام العرب – بحسب الوضع الأصلي – على معنى الانسياب والانتشار ، من ذلك الساحة : فضاء بين نُورِ الحيّ ، والجمع سُوحٌ وساحات ، وتصغيرها سُوَيحة ، والسَّيْحُ : الماء الظاهر على وجه الأرض جريًا ، وجمعه سيوح وأسياح

وهو في الأصل : مصدر ساح الماء يسيح سيحًا إذا : جرى على وجه الأرض ،[٣]، قال الفرزدق :

وَكَمْ لِـلُمْسْلِمِينَ أَسَحْتَ يَجْرِي ∴ بِإِذْنِ اللهِ مِنْ نَهْرٍ وَنَهْرِ [٤]

ثم سمي الماء بالمصدر فقيل:ماءٌ سَيْح [٥]، قال الثعالبي (ت٤٣٠)هـ : " إذا كان [الماء] على ظهر الأرض يَسْقي بغير آلة من دالية أو دولاب أو ناعورة أو منجنون ، فهو سَيْح " [٦]، ومنه حديث

---

(١) ينظر الجامع الصغير للسيوطي ٤٩٢/١ وكنز العمال ٧/٢ .

(٢) ينظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٢٤١/١ والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير [س ي ح] .

(٣) ينظر العين ومقاييس اللغة [س ي ح] .

(٤) البيت من الوافر وهو في ديوانه ص٢٩٤ وتهذيب اللغة[س ا ح].

(٥) ينظر العين [س ي ح] وجمهرة اللغة ٢٧٥/١ .

(٦) فقه اللغة ص ١٣٢.

الزكاة: (ما سُقى بالسَّيْح فَفيهالعُشْر)[1]، أي بالماء الجاري ، وسَيْح : ماء لبني حسان بن عوف ، وفيه يقول الشاعر :

* يا حبَّذا سيحٌ إذا الصَّيفُ التهبْ * [2]

ومن ذلك قيل على سبيل المجاز بالاستعارة : رجل سائح : إذا كان يسيح في البلاد لا يستقّر [3]، وفي الحديث : (لاَ سِيَاحَةَ في الإسْلاَمِ) [4]، يريد مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض للعبادة والترهب ، كفعل يحيى بن زكريا (عليهما السلام) حين ساح ولزم أطراف الأرض ، وفعل غيره من عّباد يبني إسرائيل ، أراد (ﷺ) أن الله (جل وعز) وضع هذا عن المسلمين وبعثه بالحنيفية السمحة[5].

وانساح بال فلان : اتسع ومنه قول الشاعر :

أمنّي ضميرَ النَّفسِ إّياكِ بعدما .:. راجِعُ نِي بَثّي فَيَنْسَاحُ بَالُها [6]

وهو من الانتقال المجازي من المحس إلى المعنوي ؛ لعلاقة المشابهة – أيضًا .

---

(١) من رواية أنس بن مالك (ﷺ) كما في النهاية [س ي ح] وكنز العمال ٥٥٩/٦ .

(٢) البيت لذي الرمة من الرجز ، وهو في ديوانه ص٣٠٢ والصحاح [س ي ح]

(٣) ينظر جمهرة اللغة ٢٧٥/١ وأساس البلاغة [س ي ح] .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ١٥١/١ .

(٥) ينظر غريب الحديث لابن قتيبة ٤٤٦/١ وتهذيب اللغة[س ا ح].

(٦) البيت لذي الرمة من الطويل وهو في ديوانه ص٢٤٠ والصحاح [س ي ح] ، والبث :الحزن الشديد الذي لا يُصبر عليه .

ثم جدّ للكلمة استعمال آخر في اللغة ؛ فدلت على الصوم مجازًا لعلاقة المشابهة – أيضًا ، فقيل للصوم سياحة وللصائم سائح ، قال أبو طالب :

وبالسائحين لا يَذُوقون قَطْرَةً ∴ لربِّهُم والراتِكاتِ العوامل [١]

وقال غيره :

بِراً صَيِّي يَصُ ونَ هه ∴ يظلُّ كثيرَ الذِّكْر لله سائحًا [٢]

وإنما قيل للصائم : سائح ؛ لأن الذي يسيح في الأرض متعبدًا ولا زاد معه ، إنما يطعم إذا وجد الزَّاد ، والصائم لا يطعم – أيضًا ؛ فلشبهه به سُمِّي سائحًا [٣].

دلالة اللفظ في التفسير :

وعلى الدلالة المجازية جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ ﴾ وقوله : ﴿ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ [٤]، فقد جاء ذلك مفسرًا في الحديث : (السائحون هم الصائمون) كما تقدم وسئل سعيد بن جبير عن السائحين في القرآن ، فقال : " هم الصائمون ، ألم

---

(١) البيت من الطويل وهو في الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٥/١ وأساس البلاغة [س ي ح] .، والراتكات : المسرعات .

(٢) البيت من البسيط ولم أقف على قائله ، وهو في الكشف والبيان للثعلبي٩٨/٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٠/٨ .

(٣) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [س ي ح] .

(٤) التحريم من الآية [٥] .

تر أن الله (عز وجلّ) إذا ذكر الصائمين لم يذكر السائحين ، وإذا ذكر السائحين لم يذكر الصائمين "[١].

هذا ودلالة السياحة على الصوم لا تتوقف على الدلالة الشرعية لمعنى الصوم ، وهو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج ، بل إن التجوز في الاستعمال ينصبُّ على المعنى اللغوي وهو مطلق الإمساك ، فكل من أمسك أو كفّ عن المعاصي سمي سائحًا ، قال الراغب الأصفهاني " إن الصوم ضربان : حقيقي ، وهو ترك المطعم والمنكح ، وصوم حكمي ، وهو حفظ الجوارح عن المعاصي ، كالسمع والبصر واللسان ، فالسائح هو الذي يصوم هذا الصوم دون الأول " [٢].

بـ – النجدين :

قال ابن اليزيدي في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [٣] : " النجدين : الطريقين في ارتفاع ، نجدُ الخير ونجد الشرِّ ، وبعض المفسرين يقول : النجدان : الثديان " [٤].

فهو يذكر المعنى الأصلي للفظ النجد في اللغة ، وهو الطريق في ارتفاع ، ثم يبين المراد من النجدين في الآية ، وما ذكره من أن النجدين هما طريقي الخير والشّر هو المروي عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يقول :

---

(١) الكشف والبيان ٥/٩٨ .

(٢) المفردات ص ٢٤٦ .

(٣) البلد الآية [١٠] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٠٥ .

(" يا أيُّها النَّاس ، إنَّما هُما النَّجدانِ : نَجْدُ الخيرِ ، ونجدُ الشَّرِّ ، فلَم تَبْغُونَ نَجْدَ الشرِّ أحبَّ إلَيْكَ من نَجْدِ الخَيْرِ؟ " [1].

وما أورده من أن النجدين هما الثديان ، فهو المأثور عن على وابن عباس وعكرمة (رضي الله عنهم) ، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك – أيضًا[2] .

دلالة اللفظ في اللغة :

النجد في اللغة : ما ارتفع من الأرض وأشرف منها ، والجمع : نِجاد ونُجُود وأنْجُد ، يقال : اعل هاتيك النِّجاد ، وهي الصعائد ، وكل صعود نجد [3]، ونجد إقليم معروف يتوسط شبه الجزيرة العربية ، يتصل بالحجاز غربًا وباليمن جنوبًا وبإقليم الإحساء شرقًا وببادية العرب شمالاً ، سمي نجدًا لما به من الآكام والمرتفعات ، أو لعلوه عن انخفاض تهامة [4]، يقال : أنجد القوم : إذا صاروا ببلاد نجد[5] وفيه يقول الشاعر :

---

(١) رواه أبو أمامة (ﷺ) ، وهو في المعجم الأوسط للطبراني ٧٧/٣ .ومجمع الزوائد للهيثمي ٤٤٩/١٠

(٢) ينظر جامع البيان ٤٣٩/٢٤ والكشف والبيان٢٠٩/١٠ والجامع لأحكام القرآن ٦٧٥/٢٠ واللباب في علوم الكتاب للدمشقي٣٤٥/٢٠ .

(٣) ينظر الجيم ٢٦٣/٣- ٢٧١ وجمهرة اللغة ٢٢٠/١ والصحاح [ن ج د] .

(٤) ينظر جمهرة اللغة ٢٢٠/١ والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية مجهول المؤلف ص ٤٣٢ وخصائص جزيرة العرب لبكر بن عبد الله أبو زيد ص ٧، وتهامة إقليم بالحجاز يقال لها : الغور وغور تهامة – أيضًا .

(٥) العين [ن ج د] .

ذَرانِـي مِـنْ نَجْـدٍ فَـإِنَّ بِـنِينَه ُ ∴ لَعِبْنَ بِنَا شِيباً وشَيَّبْنَنَا مُرْدَا [١]

وأنجَد : صعد النجود ، قال الأعشى :

نبـّي يـرى مـالا تـرونَ، وذكـره ∴ أغَارَ، لَعْرِي، فـي البِلادِ وَأنجَدَا[٢]

ومن ذلك قيل للطريق يأخذ بين نشوز الأرض [مرتفعاتها] : نَجْد ، قال الشاعر :

فـإنّي زَعِـيمٌ أن أقُـول قَصِـيدَةً ∴ مُبينـةً كالنَّجْـد بـين المخـارم [٣]

وقال الآخر :

فَرِيقَـانِ مِنْهُم قَـاطِع بَطْنَ نَخْلَـةٍ ∴ وآخَـرُ مِـنْهُم جَـازِع نَجْـدَ كَبْكَـبِ [٤]

هـذه هـي الدلالـة الأصـلية لمـادة [ن ج د]فـي اللغـة ، ثـم توسـع العرب في مدلول الكلمة عن طريق الانتقال بالمجاز ، فقيل لكل ما علا أو أشرف : نجدٌ محسًّا كان أو معنويًا ، فالنجد : العنق لارتفاعها ، والنُّجود من الإبل : التـي لا تبـرك إلا علـى مرتفـع مـن الأرض ، والنَّجَاد : حمائـل

---

(١) البيـت مـن الطويـل ، ولـم أقـف علـى قائلـه ، وهـو فـي المحكـم [س ن هـ] واللسان [ن ج د] ، وقولـه : شيبننا مردًا : أي صغارًا قبل أوان الشيب .

(٢) البيت من الطويل في ديوانه ص٤٦ وجمهرة اللغة ١٠٠/٢ ، وقوله أغار : أي قصد الغور ، وهو المنخفض ضد أنجد .

(٣) البيت من الطويل ، ولم أقف على قائله كما لم أجده في غير معجم الجيم ٢٧٤/٣ ، والمخرم والرعن والربع مرادفات للنشز ، وهي المرتفعات من الأرض .

(٤) البيت من الطويل ، وهو لامرئ القيس في ديوانه ص ٧٤ وتاج العروس [ن ج د] ، وجازع : من جزع المفازة : اجتازها أو قطعها عرضًا ، وكبكب : اسم جبل .

السيف ؛ لأنه يعلو العاتق ، أو لأنه يجاور الموضع العالي من الجسد [١].

ومن الانتقال من المحس إلى المعنوي قولهم : فلان طلّاع أنجد وطلاع الثنايا ، إذا كان ساميًا لمعالي الأمور [٢]، قال حميد بن شحاذ الضبي :

قَدْ يَقْصُرُ الفَقْرُ فتَى دُونَ هِمِّهِ ∴ وقَدْ كَانَ لَوْلاَ لقُلُّ لاَّعَ أَنْجُدِ[٣]

وقال غيره :

يَغْدُو أَمَامَهُم فِي كُلِّ مَرْبَأَةٍ ∴ لَلاَّعِ أَنْجِدَةٍ فِي كَشْحِه هَضَمُ[٤]

ومن ذلك : أمر نجد ، أي واضح ، يقال : نَجَدَ الأمر ينجُد نُجودًا استبان ووضح ، فهو ناجد [٥]، لما فيه من معنى الإشراف والظهور قال سفيان بن الحارث :

صَحا قَلْبي وخافَ اليَوم غُولا ∴ وكان لَدَّ مُقْتَبِساً جَهولا
وكُنْتُ أَرى سَبِيلَ الرُّشدِ صَعْبا ∴ ونَجْدَ الغَيِّ مورَده ذَلولا [٦]

---

(١) ينظر مقاييس اللغة والمحكم [ن ج د] واللباب في علوم الكتاب ٣٤٥/٢٠ .

(٢) الصحاح [ن ج د] .

(٣) البيت من الطويل ، هو في الصحاح والمحكم [ن ج د] ، والقُل : الفقر .

(٤) البيت لزياد بن حمل بن سعد بن حريث من البسيط ، وهو في ديوان الحماسة لأبي تمام ١٦١/٢ والصحاح والمحكم [ن ج د] ، والمربأة : المرقبة ، والأنجدة : جمع نجد ، والكشح : الخصر ، والهضم : دقة الخصر ، يصفه بوصف محمود عند العرب وهو النحافة .

(٥) ينظر العين [ن ج د] .

(٦) البيتان من الوافر ، وهما في الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٩٠، وصحا : أفاق ، وزلولاً : منقادًا وهو ضد الصعب .

قوله : نجد الغي ، أي طريق الغي، وهو – ولا شك – طريق معنوي ، لذا قال الشاطبي (ت٧١٠هـ) : " ... والعرب تطلق الهدى حقيقة في الظاهر المحسوس ، فتقول : هديته الطريق وهديته إلى الطريق ، ومنه نقل إلى طريق الخير والشر ... فهو حقيقة في الطريق المحسوس مجازًا في الطريق المعنوي " [١].

دلالة اللفظ في التفسير :

على قول بعض المفسرين بأن النجدين – في هذه الآية – هما الثديان ، تكون دلالة اللفظ على الارتفاع من قبيل الانتقال المجازي من المحس إلى محس آخر مثله ؛ لأن الثديين كالطريقين لحياة الولد ورزقه [٢]، ولارتفاعهما فوق الصدر ، ومن أجل ذلك سمي الثدي نجدًا ، قال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) : " ... والنجد : الثدي ، والبطن تحته كالغور .. " [٣]، وعلى هذا التفسير يكون لفظ " النجدين " مجرورًا بحرف جر محذوف تقديره : وهديناه إلى النجدين ، أي إلى الثديين [٤].

وعلى تأويل النجدين بأنهما طريقي الخير والشرِّ ، تكون الدلالة على الارتفاع من الانتقال من المحس إلى المعنوي ، والمعنى : بينا له طريقي الخير والشر ، والحق والباطل ، والهدى والضلالة ، فكأنه لما وهمت الدلائل جعلت كالطريق المرتفعة العالية بسبب أنها واضحة للعقول ، كوضوح الطريق العالية المرتفعة للأبصار ، وعلى هذا التفسير يكون

---

(١) الاعتصام ١٠٣/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن٦٧٥/٢٠ .

(٣) تاج العروس] ن ج د] .

(٤) ينظر الدر المصون للسمين الحلبي ٥٧/١ واللباب في علوم الكتاب ٣٤٥/٢٠ .

لفظ " النجدين " منتصبًا على الظرفية ، أي : بينا أو وضحنا له النجدين [1]، إذن فالدلالة اللغوية أعّم ؛ لشمولها المعنى الحقيقي والمعنى المجازي معًا ، والدلالة التفسيرية أخص لاقتصارها على المعنى المجازي في القولين .

ج – الهَمْزَة :

في قول الله (تعالى) : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾[2] قال المفسِّر في همزات : " واحدها هَمْزَة ، والهمز واللمز والغمز : الطعن على الرجل ، وقال المفسرون : الهمزُ المُوتة التي تأخذ الإنسان " [3]، فأبو عبد الرحمن يبين معنى اللفظ في اللغة بذكر مرادفه ، ثم يذكر أن اللفظ قد نقل عند المفسرين للدلالة على معنى آخر غير المعنى اللغوي ، إذ يراد به الموتة – بضم الميم غير مهموزة – من قولهم : أخذت فلانًا الموتةُ ، وهي ضرب من الجنون وأن يغشى عليه حتى كأنه يقارب الموت من الغشي ، وجمعها : مُوت – كالظلم [4].

وما أورده عن المفسرين هو المروي عن رسول الله(ﷺ) أنه كان إذا استفتح القراءة في الصلاة قال : (أَعوذُ بالله من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ) ، فقيل : يا رَسُولَ اللَّهِ ما هَمْزُهُ وَنَفْثُهُ وَنَفْخُهُ ؟ قَالَ :

---

(١) ينظر الكشف والبيان للثعلبي ٢٠٩/١ ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ٤٧٥٤/١ والدر المصون ٥٨١٧/١ واللباب في علوم الكتاب ٣٤٥/٢٠ .

(٢) المؤمنون [٩٧] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ١٢٦.

(٤) إسفار الفصيح للهروي ٢ /٧٢٣ .

(أَمَّا هَمْزُهُ فَالْمَوتَةُ الدَّتِيتَ أْخُذُ ابْنَ آدَم ، وَأَمَّا فَثْهُ فِ الشِّعْرِ ، وَأَمَّا نَفْخُهُ فِ الْكِيرِ) [1].

دلالة اللفظ في اللغة :

الدلالة الأصلية لمادة [هـ م ز] في اللغة هي : الدفع والضغط ، تقول العرب : همزت فلانًا ولمزته ولهزته ونهزته : إذا دفعته ، وقوس هَزِمة : شديدة الدفع للسهم ، قال أبو النجم :

أَنْحَى شِمالاً هَزِمَى نَضوحا

وَهَتَفَى مُعطيةً طَروحا [2].

وهمزت رأسه وهمزت الجوزة بكفيَّ أَهْمِزُها هَمْزًا : ضغطها حتى تهشَّمت [3]، قال الراجز :

ومنْ هَمَزْنا رأسَه تهشَّما[4].

والمِهْمز والمِهْماز :حديدة في مؤخر خُفِّ الرائض ، يُنخَسُ بها الشُّموس من الخيل ؛ لتسرع جمعها مهامز ومهاميز[5] ، قال الشماخ :

---

(١) سنن أبي داود ٢٧٩/١ ومسند أحمد بن حنبل ٨٠/٤ والسنن الكبرى للبيهقي ١٤٦/١ .

(٢) من الرجز وهما في ديوانه ص٦٨ وجمهرة اللغة ١٦٨/٢ ، يصف قوسًا ، والنضوح : الشديدة الدفع ، والهمزى : الشديدة – أيضًا ، والهتفى : الصوت القوي ، والطروح : التي تطرح السهم مطرحًا بعيدًا .

(٣) ينظر العين وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة [هـ م ز] .

(٤) من الرجز ، وهو لرؤبة في ديوانه ص ١٨٤ وتهذيب اللغة وتاج العروس [هـ م ز] .

(٥) ينظر تهذيب اللغة والقاموس المحيط للفيروزآبادي [هـ م ز] ، والشموس من الخيل : الذي يستعصي على راكبه ومروضه

أقـَام الثِّقـافُ والطريـدةُ نَرْأَهـا . كما قَوَّمتْ ضِغْنَ الشَّموسِ المَهامِزُ[1]

ومنـه الَهْمزُ فـي الكـلام ؛ لأنّـه يُضْغَط ، وقد همزت الحرف فانهمز وبـه سـميت الهمـزة مـن الحـروف ؛ لأنهـا تهمـز ، أي تُهـتُّ فتهمـز عـن مخرجها ، يقال : هو يَهِتُّ هتًّا ، إذا تكلم بالهمز [2].

ثـم انتقلـت الكلمـة أو اللفظ للدلالـة المجازيـة ، فقيـل للمغتـاب الـذي يقـع فـي أعراض النـاس ويعيبهم : هُمَزَة ، كأنـه ينخس من عابـه ويطعن فيه [3]، وكذلك تسمية الموتة همزًا ، فهي كالغمز [الضغط] أو النخس من الشيطان ، قال الأزهري : " فأما الموتة فهي شبه الجنون الذي يكون معه الصرع ، سـمي همـزًا ؛ لأنـه جعل كـالنخس والغمـز مـن الشـيطان ، وكـل شيء دفعته فقد همزته ،والنخس : الدفع بعنف "[4] .

دلالة اللفظ في التفسير :

للمفسرين في قوله (تعالى) : ﴿ همزات الشياطين ﴾ أقوال :

أحدها : عن ابن عباس همزاتهم : نزغاتهم [والنزغ هو الإغراء].

الثاني : وساوسهم عن الحسن .

---

(١) مـن الطويـل وهـو فـي ديوانـه ص ٤٨ وتهـذيب اللغـة والصـحاح [هـ م ز] ، وأقام : أصلح ، والثقاف : ما تسوى به الرماح والقسي ، والطريدة : القصبة التـي فيهـا حزة توضـع علـى المعازل والعود فتُنحت عليهـا ، ودرؤهـا : ميلها ، وضغن الفرس : ضد رياضته .

(٢) ينظر تهذيب للغة والصحاح [هـ م ز] .

(٣) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤٨٤/٤ والكشاف للزمخشري ٨٠١/٤ .

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص٩٦ .

الثالث : نفخهم ونفثهم عن مجاهد .

الرابع : همزات الشياطين : خنقهم للناس ، عن أبي زيد [١].

الخامس : هي الموتة التي تأخذ ابن آدم ، وهو المأثور عن الرسول (ﷺ) – كما تقدم – وبه قال الحسن في أحد قوليه [٢].

وهذه الأقوال في مجملها لا تخرج عن الدلالة المجازية ، فعلى الأقوال الثلاثة الأُول يكون الانتقال من الدلالة الأصلية [الحقيقية] إلى المجازية ، انتقال من المحس إلى المعنوي ؛ لعلاقة المشابهة . والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها ، كما تهمز الراضةُ الدوابَّ حثًا على المشي [٣].

قال الطاهر بن عاشور : " والهمز حقيقته : الضغط باليد والطعن بالإصبع ، ويستعمل مجازًا بمعنى الأذى بالقول أو بالإشارة [٤]، ومنه قوله (تعالى): ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[٥]، وقوله : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [٦]"

وعلى القولين الأخيرين يكون الانتقال من المحس إلى المحس للعلاقة نفسها ؛ لأن الأذى الذي يلحق بالهموز ظاهر من غير أن يُرى الهامز .

---

(١) الكشف والبيان ٧ /٥٥ .

(٢) مفاتح الغيب ١/٣٢٥٦ .

(٣) الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٠٤.

(٤) التحرير والتنوير١٨ / ١٢٠

(٥) القلم [١١] .

(٦) الهمزة [١] .

المبحث الثالث

الدلالة العرفية

هي : اللفظ المستعمل فيما وضع له بعرف الاستعمال اللغوي [١].
أو هي : نقل اللفظة من معناها إلى غيره بحكم الاستعمال بحيث يغلب استعمال اللفظة في مدلولها الجديد ، ويكاد ينسى أو يقل استعمالها في مدلولها الأول [٢].

من هذا التعريف يتبين أن الدلالة العرفية وليدة المجتمع للغوي حيث ينقل فيها اللفظ من معناه إلى معنى آخر أقره الاستعمال ، في ظل الجماعة اللغوية وتعارف عليه أهل تلك الجماعة ، كما يفهم منه أيضًا – أن هذه الدلالة تعد المرحلة الثانية بعد المجاز في عملية التوسع الدلالي وتنوع المعنى ، فاللفظ ينتقل من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي أولاً ، ثم بعد أن يقره المجتمع ويكثر فيه استعماله ويفقد – بطول العهد مجازيته – يصبح المجاز من قبيل الحقيقة العرفية .

فالبرذعة – بالذال والدال – حِلْس[كساء رقيق على ظهر البعير] يجعل تحت الرحل أو الإكاف والجمع البراذع هذا هو الأصل

وفي عرف زماننا هي للحمار ما يركب عليه بمنزلة السرج للفرس ، فانتقال البرذعة من الدلالة على الكساء الرقيق إلى الدلالة على ما يوضع فوقه ، وهو الإكاف أو السُّوج نشأ أولاً عن طريق المجاز لعلاقة المجاورة

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٥٢/١ .

(٢) ينظر النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي د/ نعمان بوقرة ص٨٨ وعلم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د/ فريد عوض حيدر ص ٩٠.

، ثم كثر استعماله حتى أصبح إطلاقه على الإكاف من قبيل المعنى العرفي لا اللغوي [1].

لذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " فاللفظ قد يشيع استعماله في جيل من الأجيال للدلالة على أمر معين ، وكلما ذكر اللفظ خطرت نفس الدلالة في الأذهان دون غرابة أو دهشة ، وهو من أجل هذا مما يسمى بالحقيقة . فإذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر ، فأثار في الذهن غرابة أو طرافة قيل حينئذ إنه من المجاز ، وتلزمه تلك الغرابة أو الطرافة في الاستعمال زمنًا ما بعده قد يفقدها ، ويصبح من الألفة والذيوع بحيث تنسى مجازيته ويصير من الحقيقة "[2] .

هذا وإذا اجتمع للفظة معنيان أصلي وعرفي ، وجب تقديم العرفي في الاستعمال ؛ لأنه المتبادر إلى الذهن ، والمشهور بين المتكلمين به .

قال بعض الفقهاء : " وَإِنَّمَا يُرَاعَى الْمَعْنَى اللُّغَوِيُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَلَامُ النَّاسِ بِخِلَافِهِ ، فَإِنْ كَانَ كَلَامُ النَّاسِ بِخِلَافِهِ وَجَبَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ ، فَيَكُونُ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً .

وَمِنْ أَدِلَّةِ تَقْدِيمِ الْمَعْنَى الْعُرْفِيِّ عَلَى اللُّغَوِيِّ الْأَصْلِيِّ مَا رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، وَقَالَ : إِنَّ صَاحِبًا لَنَا مَاتَ وَأَوْصَى بِبَيْنَةٍ، أَفَتُجْزِي عَنْهُ الْبَقَرَةُ ؟فَقَالَ :" مِمَّنْ صَاحِبُكُمْ ؟فَقَالَ مِنْ

---

(١) ينظر تاج العروس [ح ل س] وحاشية ابن عابدين ٤/٢٠٧

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٣٠.

بَنِي رَبَاحٍ ،فَقَال : "مَتَى اقْتَنَتْ بَنُو رَبَاحٍ الْبَقَر ؟ إِنَّما الْبَقَرُ لِلأَزْدِ ، وَذَهَبَ وَهُم صَاحِبِكُم إِلَى الإِبِل [1].

فَهذَا الأَكْثَر أَصْلٌ أَصِيلٌ فِي حَمْل الْكَلاَمِ الْمُطْلَقِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ النَّاسُ ،وَلاَ شَكَّ أَنَّ إِرَادَةَ النَّاسِ تَذْهَبُ إِلَى الْمَعْنَى الْعُرْفِيِّ ، فَيُلاَمُ مَعْنًى لُغَوِيٌّ وَمَعْنًى عُرْفِيٌّ ،فَالظَّاهِرُ عِنْدَ إِطْلاَقِ اللَّفْظِ إِرَادَةُ الْمَعْنَى الْعُرْفِيِّ ، وَلِهَذَا لَوْ قَال الْغَرِيمُ لِغَرِيمِهِ :وَاللَّهِ لأَجُوَّنَّكَ فِي الشَّوْكِ ،لَمْ يُرِدْ بِهِ حَقِيقَتَهُ اللُّغَوِيَّةَ عَادَةً ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ شِدَّةَ الْمَطْل ،فَلاَ يَحْنَثُ بِعَدَمِ جَرِّهِ فِي الشَّوْكِ وَإِنَّما يَحْنَثُ بِإِعْطَائِهِ الدَّيْنَ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ " [2].

وقد جاءت ألفاظ من آيات الذكر الحكيم مفسرة على الدلالة العرفية – كما جاء في غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي منها :

أ – "حَفَدَة "

قال ابن اليزيدي في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [3]: " الحفدة : الأعوان والخَدَم ، واحدهم حافد ، وقالوا :الأختان في التفسير ، ويقال : مَرَّ فلان يَحْفِد حَفَدانًا ،ومنه : "واليك نسعى ونحفد "[4]أي : نسرع "[5] .

---

(١) ينظر مصنف ابن أبي شيبة ٧٨٣/٣ وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني ٣٥/٣، وقول ابن عباس : ذهب وهم صاحبكم إلى الإبل ، يعني قصد من ذكر البدنة الإبل لا البقر حسب المتعارف عليه في قبيلته .

(٢) ينظر بدائع الصنائع ٣٥/٣ والموسوعة الفقهية الكويتية ٣١٢/٧.

(٣) النحل من الآية [٧٢] .

(٤) من حديث عمر (ﷺ) في دعاء القنوت مرفوعًا .كما في صحيح مسلم١١٣/٣وغريب الحديث لأبي عبيد ٣٧٥/٣

(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ١٠٢ .

فقد ذكر للفظ " حفدة " معنيين ، أحدهما : المعنى العرفي له في اللغة ، وهو الدلالة على الأعوان والخدم ، والثاني : معناه في التفسير، ثم يشير إلى المعنى الأصلي لمادة [ح ف د] ، وهو الدلالة على الإسراع ، ويستشهد له بما ورد في دعاء القنوت .

دلالة اللفظ في اللغة :

أصل الحَفْد في اللغة : مداركة الخَطْو والإسراع فيه ، يقال : حفد الحادي وراء الإبل ، إذا أسرع ودارك خطوه ، وحفد البعير وكذا الظليم [ذكر النعام] حَفْدًا وحُفودًا وحَفَدانًا : أسرع في سيره، وبعير حفَّاد على المبالغة إذا كان كذلك[1] . قال حميد بن ثور في وصف البعير :

تَهْوِي الَمطايا الحافِدات قَطَّعت ∴ نعالاً له دُون الإكام جُلودُها[2]

وقال الفزاري :

جَوْح بُاريها ظِلالٌ كأَنَّها ∴ عَ الرَّكْبِ حَفَّانُ النَّعامِ الُمجَنَّب[3]

وقال الراعي النميري :

كلَّفْتُ مَجْهُولَها وُقاً يَمانِيةً ∴ إِذَا الُحدَاةُ عَلَى أَكْسَائِهَا حَفَدُوا [4]

---

(١) ينظر غريب الحديث لابن قتيبة١/١٧٠ والصحاح وأساس البلاغة [ح ف د].

(٢) البيت من الطويل وهو في ديوانه ص٧٢ وغريب الحديث لابن قتيبة ١/٤٧٤، والإكام جمع الأكمة، وهي ما ارتفع من الأرض.

(٣) البيت من الطويل ، وهو في الجيم لأبي عمرو الشيباني ١/٢١٧ واللسان [ج ن ن ب] ، والمجنب : المجنوب وهو المقود .

(٤) البيت من البسيط في ديوانه ص ٥٢ وتهذيب اللغة [ك س ا] ، وأكسائها جمع كسئ ، وهو مؤخرها .

ومن صفات السَّيْف : التحفيد والحَفَدان ، وهو العدو الذي ليس بشديد أو فوق الخبب [١].

هذه هي الدلالة الأصلية للفظ " الحفد " في اللغة ، ومنها قيل للسرعة في كل شيء حَفْد وإحفاد ، محسًا كان أو معنويًّا ، يقولون : سيف محتفد ، إذا كان سريع القطع ، وحفد فلان في الأمر واحتفد : أسرع فيه [٢].قال الأعشى في وصف سيف :

وُمحْتَفِدُ الوقْعِ ذُو هَبَّةٍ .:. أَجادَ جِلَاه يَدُ الصَّيْقَلِ [٣]

ثم أصبح له دلالة عرفية اجتماعية ، تعارف عليها المجتمع العربي منذ وقت مبكر من العصر الجاهلي ، وهي مأخوذة من الدلالة الأصلية عن طريق التطور وكثرة الاستعمال ، وهي دلالة اللفظ على الخدمة والعمل [٤]، يقال : حفدت فلانًا أحفِده حَفْدًا وحَفَدانًا : خدمته وخففت إلى طاعته ، وهو حافد فلان وهم حفدته ، أي : خدمه وأعوانه ، وكل من خدمك وأعانك في شيء فقد حفدك سواء أكان من الأقارب أم من الأجانب ،هذا هو المعنى المتعارف في كلام العرب[٥]، قال أبو عبيد (ت٢٢٤هـ) : " ... وأما المعروف في كلامهم فإن الحَفْد هو الخدمة "[٦] .

---

(١) ينظر العين [ح ف د] .

(٢) ينظر العين والصحاح وأساس البلاغة [ح ف د] .

(٣) من المتقارب ولم أجده في ديوانه وهو في العين وتهذيب اللغة [ح ف د] ، وذو هبة : أي مضّاء في الضريبة .

(٤) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٣٧٤ .

(٥) ينظر تهذيب اللغة والصحاح [ح ف د] والمخصص لابن سيدة ١/٣٣٦ والمفردات للراغب ص١٢٣وأساس البلاغة [ح ف د].

(٦) غريب الحديث ٣/٣٧٤.

ووجه الصلة أو العلاقة بين الدلالتين الأصلية والعرفية ، هو أن من يخدم إنسانًا أو يعينه فإنه يسرع ويخفّ إذا مشى في خدمته ، قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) : " ومنه [أي الإسراع] قيل للعبيد و الإماء: حَفَدَة ؛ لأنهم يسرعون إذا مشوا للخدمة " [١]،وعلى الدلالة العرفية جاء قول الشاعر :

يَحْفِدُونَ الضَّيْفَ في أَبْيَاتِهِمْ ∴ كَرماً لِكَ مِنْهُم غَيْرَ ذُلْ [٢]

وقال الآخر :

فَلَوْ أنَّ نَفْسِي طَاوَعَتْنِي لأَصْبَحَتْ ∴ لَهَا حَفَدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرُ
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ علَيَّ أَبِيَّةٌ ∴ يَرُوفٌ لإِصْهَارِ اللِّئَامِ قَذُورُ [٣]

وفي حديث أم مَعْبَد في وصف الرسول (ﷺ) : (مَحْفُودٌ مَحْشُود لا عَابِسٌ ولا مُفْنِد) المَحْفُود : الذي يَخْدُمه أصحابه ويُعَظِّمونه ويُسْرِعون في طاعَته[٤] .

ومن هذه الدلالة المتعارف عليها عند العرب قولهم لأولاد الأولاد : حفدة ، جمع حفيد وحافد ؛ لأنهم كالخدم في الصغر ولأنهم الأصل في خدمة الأبوين [٥]، ولا تزال هذه الدلالة متعارف عليها في بعض

---

(١) غريب الحديث له ١/١٧٠ .

(٢) البيت من الرمل ، وهو منسوب لطرفة ولم أجده في ديوانه، وهو في غريب الحديث للخطابي ٢/١١١ و النكت والعيون للماوردي ٣/٢٠٢

(٣) البيتان من الطويل ، وهما لعبادة بن الصامت (رضي الله عنه) في أجبار الزجاجي ص ٣ ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ص٤١٣ ، والعيوف من عاف الشيء كرهه ، والإصهار : النسب .

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٤/٤٨ والنهاية لابن الأثير [ح ف د] .

(٥) ينظر العين وأساس البلاغة والمصباح المنير [ح ف د] .

المجتمعات العربية حتى الآن . ومنه إطلاق الحفدة على البنات – أيضًا ؛ لأنهن خدم الأبوين في البيت . وكذلك أطلق لفظ الحفدة على الأختان ، واحدهم خَتْن وهو المتزوج بابنة الرجل أو بأخته ، وقيل : هو أبو امرأة الرجل وأخوها ، ويقال لهم الأصهار [١]، وإنما قيل لهم حفدة لأنهم أعوان للزوج ، ويحصل لهم خدمة منه أو يخدمونه في كثير من الأحيان.

دلالة اللفظ في التفسير :

فُسِّرت كلمة " الحفدة " في هذه الآية بعدة تفسيرات لا تخرج في مجملها عن الدلالة العرفية لها في اللغة .

أحدها :أن المراد بالحفدة الأختان ، رواه زِرّ بن حبيش عن عبد الله بن مسعود ، ورواه عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهم) ، ومعنى الآية على هذا التفسير : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وبنات تزوجونهن فيحصل لكم بسببهن الأختان والأصهار [٢].

الثاني : أن الحفدة هم أعوان الرجل وخدمه ، وهو قول ابن عباس من رواية أبي حمزة ، وبه قال عكرمة والحسن والضحاك ومجاهد ، فيكون في الآية تقديم وتأخير ومعناه : وجعل لكم حفدة وجعل لكم من أزواجكم بنين [٣].

---

(١) ينظر العين وتهذيب اللغة والمحكم لابن سيده [ح ف د] .

(٢) ينظر جامع البيان ٢٥٣/١٧ والكشف والبيان ٣٠/٦ وتفسير القرآن للسمعاني ١٨٨/٣ .

(٣) ينظر المصادر الثلاثة السابقة الجزء والصفحة ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٣/١٠ .

الثالث : أنهم أولاد امرأة الرجل من غيره ، أي من الزوج الأول وهو قول ابن عباس من رواية العوفي ، وبه قال ابن زيد . فيكون المعنى : جعل الحفدة والبنين منهن ، أي من الأزواج[١].

الرابع :أنهم ولد الولد ، وهو رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس ، فتقدير الآية على هذا :جعل لكم من أزواجكم بنين ومن البنين حفدة [٢].

وواضح من هذه التفسيرات أنها جاءت موافقة للمعنى العرفي لكلمة [حفد] في اللغة لا للمعنى لأصلي ؛ فكل منها جاء لإفادة معنى الخدمة ، ولذلك اكتفى المفسر بذكر بعضها للاختصار أو الإيجاز الذي سار عليه في هذا الكتاب .

ولكن يرجح من هذه الأقوال القول الرابع ، القائل بأن الحفدة هم ولد الولد ؛ لموافقته للمعنى اللغوي مع مناسبة نظم القرآن وقوة لفظه [٣]، قال القرطبي : " قلت : وما قاله الأزهري من أن الحفدة أولاد الأولاد هو ظاهر القرآن بل نصه ، ألا ترى أنه قال : " وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة " فجعل الحفدة والبنين منهن " [٤]، وقال فيما نقله عن ابن العربي : " والأظهر عندي أن البنين أولاد الرجل لصلبه، والحفدة : أولاد ولده ، وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا "[٥].

---

(١) ينظر جامع البيان ٢٥٣/١٧ والكشف والبيان ٣٠/٦ .

(٢) المصدران السابقان الجزء والصفحة .

(٣) ينظر الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم أ/علي بن نايف الشحوذ ص ٤٣٠

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٤٣/١٠ .

(٥) المصدر السابق نفسه .

ب – الَهْجر :

في بيان معنى قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾[1]، قال ابن اليزيدي :" في التفسير: قالوا فيه غير الحق ، وهو من قولهم : هَجَر المريض يَهْجُر " [2].

فهو يفسر الَهْجر – هنا – بقول الباطل ، ويستند في هذا إلى الاشتقاق ، فهو مشتق من هجر المريض ، إذا تكلمهما لا يُفْهم من شدة مرضه ، وهذا التفسير هو المروي عن إبراهيم النخعي ومجاهد [3] .

دلالة اللفظ في اللغة :

الَهْجر والهِجران : ترك ما يلزمك تعهّده ، يقال : هَجَر فلان فلانًا يَهْجُره هَجْرًا وهِجْرانًا : صرمه وقاطعه ، وهما يهجران ويتهاجران ، والاسم : الهِجْرة [4]، قال العجاج :

مَحَلُّ الَهْجرِ أنتَ به مقيُم ∴ ولا سببٌ ما تزولُ ولا تريُم
أمارات الجفاءِ محقّقاتٌ ∴ لما أُبدي وأنتَ لها كتوُم [5]

وهاجر أرضه وقومه : باعدهم ، ولقيته عن هَجْرٍ ، أي : بعد حولٍ ونحوه ، قال الشاعر :

---

(١) الفرقان من الآية [٣٠] .
(٢) غريب القرآن وتفسيره ص١٣١.
(٣) ينظر تفسير مجاهد ٤٥٢/٢ وجامع البيان ٢٦٤/١٩ .
(٤) ينظر العين والصحاح والمحكم [هـ ج ر]
(٥) البيتان من الوافر ولم أجدهما في ديوانه ولا في غير الزاهر في معاني كلمات الناس ٩٣/١ ، وملبٌّ : مقيم من ألبّ في المكان : أقام فيه ، والهجر بمعنى الترك .

لّمـا تـاهٌم بعـد طُـولِ هَجْـرِهِ ∴ يَبْـشَى غـلاُم هْلِـهِ ببِشْـرِهِ [١]

أي : يبشرهم بـه ، وهجر الشـيء وأَهْجَرَهُ : تركـه ، الأخيـرة [لغة] هذلية [٢]، قال الشاعر :

كأنّي أُصادِيها على غُبْرِ مانعٍ ∴ مُقلَّصَةً قد أَهْجرتَها نُحولُها[٣]

هذه هي الدلالـة الأصليـة لكلمـة الَهْجر فـي كـلام العرب ، يدل لذلك قول ابن دريد فـي اشتقاق مُهاجر ، وهو مهـاجر بن عبد الله بن أميـة: " ومهـاجر : مفاعل من الهِجْرَة ، ومن الهِجْران ، وهو الأصل ، كأنـه هجر بلده وقومه وخرج عنهم "[٤] والفعل على هذه الدلالة متعد بنفسه .

ثـم تفرعـت دلالـة الكلمـة ، فأصبح لهـا فـي ظـل الاستعمال اللغوي معنى عامّ وآخر خاص ، أما العام فهو المتمثل في الدلالـة العرفيـة ، التـي تعـارف عليهـا المجتمـع العربـي فـي ظـل التطـور التـاريخي الـدلالي لتلـك الكلمة .

من ذلك : الَهْجْر والَهجير والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الَحرِّ ، يقال : أتينا أهلنا مهجرين أي : في وقت الهاجرة [٥]، قالب لبيد :

---

(١) البيـت مـن البسـيط وهـو فـي المحكـم واللسـان وتـاج العـروس [هـ ج ر] .

(٢) المحكم [هـ ج ر] .

(٣) البيـت مـن الطويـل وهـو لأسـامة الهـذلي ، كمـا فـي المحكـم واللسـان [هـ ج ر] ، وغُبْر كل شيء : بقيتـه ، و الجمـع : أغبـار ، وهو الغُبَّر أيضا ، وقد غلب ذلك على بقية اللبن في الضَّرع ، والمانع : الناقة التي منعت لبنها .

(٤) الاشتقاق ص ٩٩ .

(٥) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [هـ ج ر] .

راحَ القطـينُ بـهَجْـرٍ بَعـنَما ابتـَكَـرُوا ∴ فَمـا إصِـلُـهُ سـلَمى وَمـا تـذُر[1]

وهَجَّروا : ساروا في ذلك الوقت ، قال الشاعر :

وَتـَهْجِيـرَ قَـدَّافٍ بِـأَجْرَامِ نَفْسِـهِ ∴ عَـلَـى الْهَوْلِ تـَـهُ الْهُـومُ الْهَـوَاجِسُ[2]

وسميت هاجرة ؛ لأن الناس يسكنون في بيوتهم ، كأنهم قد تهاجروا أي : تـرك بعضـهم بعضًـا وتباعـدوا ، فهـي مـن الهجـر بمعنـى التـرك . والهجير : يبيس الحَضِ الذي كسَّرته الماشية ، وهُجِر أي : ترك [3]، قال الشاعر :

ولَمْ يَبْقَ بِالْخَلْصَاءِ مِمَّا عَنَتْ بِهِ ∴ مِـنَ الرَّطْـبِ لاَّ يَبْسُـهَا وَهَجِيرُهَـا[4]

ومن المتعارف عليه عند العرب : الَهْجر بمعنى الَهذَيان ، يقولون : هَجَر المريض يَهْجُرُ هَجْرًا ، إذا تكلم بغير معقول ؛ لشدة مرضه ، فهو هاجر والكلام مهجور فيه ، وكذلك يفعل المبرسم [المحموم] في نومه إذا حَمَّ وهَذى . والُهجر – بالضم – الاسم من الإهجار ، وهو الإفحاش في

---

(١) البيت من البسيط في ديوانه ص٣٧ والعين [هـ ج ر] ، والقطين: من قولهم : قطين الرجل ، وهم خدمه وحشمه ، وراح بمعنى ذهب ، وابتكروا من البكور : أول النهار .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لذي الرمة في ديوانه١٤٦ والعين [هـ ج ر] ، والهواجس جمع هاجس ، وهو ما يخطر بالبال ، ويروى الأباعد بدل الهواجس .

(٣) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [هـ ج ر] .

(٤) من الطويل وهو لذي الرمة – أيضًا – في ديوانه ص١٣٩ ومقاييس اللغة [هـ ج ر] ، والخلصاء : موضع ، والعناء : نبت من قولهم عنت الأرض : إذا أنبتت ، و اليْبس : اليابس الذي لم يعهد رطبًا قط .

المنطق والخنا ، والفعل – هنا لازم غير متعد من هجر في الكلام ، إذا هَذى أو أهجر فيه أي : أفحش[١] قال الشماخ :

كماجِدَةِ الأَعْراقِ قال ابنُ ضَرَّةٍ ∴ عليها كلاماً جارَ فيه وأَهْجَرا[٢]

وكذلك إذا أَكثر الكلام فيما لا ينبغي ، ورماه بها جرات ومُهْجِرات ، أي بفضائح،سمي هذا كله؛لأنه من الكلام المهجور الذي لا خير فيه[٣].

وفي مقابل هذا المعنى يقولون للشيء الحسن الفائق الجيد : هَجْر ومُهْجِر وهاجريّ ، من ذلك : ناقة مهجرة : فائقة في الشحم أو السير ، وبعير مهجر وكبش مهجر: حسن كريم ، قال الشاعر في وصف الجمل :

عَرْكَرَكٌ مُهْجِرُ الضُّوبانِ مَهُ ∴ رَوْضُ القِذَافِ رَبيعاً أيَّ مَأْوِيمِ[٤]

وهذا أهجر من هذا ، أي أكرم ، وأهجرت الجارية : شبت شباباً حسناً ، وذهبت الشجرة هَجْرًا أي طولاً وعِظَماً [٥]، قال ابن فارس بهذا الصدد : " يقولون : هذا شيء هَجْرٌ، أي لا نظير له ، كأنَّه من جَودته ومباينته الأشياءَ قد هَجَرها "[٦] .

---

(١) ينظر العين والصحاح والمحكم وتاج العروس [رهـ ج ر] .

(٢)البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص ٢٧ وتهذيب اللغة [هـ ج ر] ، وماجدة الأعراق أي : أصولها منسوبة إلى المجد ، وابن ضَرَّة : أي : ابن زوجها من غيرها ، وجار من الجور ، وهو ضد العدل ، وأهجر : أفحش .

(٣) ينظر مقاييس اللغة والمحكم [هـ ج ر]

(٤) البيت من البسيط ، وهو في الصحاح واللسان [هـ ج ر] ، والعركرك : الجمل القوي الغليظ ، وروض القذاف : موضع ، والضوبان : الجمل القوي المسن الضخم واحده وجمعه سواء ، وأوَّمه : شوه خَلْقَه .

(٥) ينظر تهذيب اللغة والصحاح والمحكم [هـ ج ر] .

(٦) مقاييس اللغة [هـ ج ر] .

فيكون هذا المعنى مأخوذًا من دلالة الكلمة اللغوية الأصلية ، وقال الإزهري : " وإنما سمي ذلك إهجارا ؛ لأن ناعته يخرج في نعته عن الحد المقارب المشاكل للمنعوت إلى نعتٍ فُرِط فيه ، فكأنه يَهذي ويَهجُر " [1].

فيكون حينئذ مشتقًا من الدلالة العرفية . وأما المعنى الخاص لكلمة " هجر " فهو المتمثل في الدلالة الشرعية ، وهي ترك الشيء محسًا كان أو معنويًا قربة لله (تعالى) ، قال الفيومي : " الهِجْرَةُ – بالكسر – مفارقة بلد إلى غيره فإن كانت قربة لله فهي الهِجْرَةُ الشرعية ، وهي اسم من هَاجَرَ مُهَاجَرَةً و هذه مُهَاجَرَتُه على صيغة اسم المفعول أي موضع هجرته " [2].

وعلى هذه الدلالة الشرعية جاء قول النبي (ﷺ) : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ »[3]، وفي رواية : " وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ " ، لأن المقصود من الهجرة – هنا – التقرب إلى الله (تعالى) ، ولا يتم ذلك إلا بترك الخطايا ،[4] ويلحظ أن الهجر في هذا الحديث من الأمور المعنوية .

ومن هذه الدلالة – أيضًا – التهجير بمعنى التبكير إلى الجمعة خاصة ، وذلك في قوله (ﷺ) (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، فَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً

---

(١) تهذيب اللغة [هـ ج ر] .

(٢) المصباح المنير [هـ ج ر] .

(٣) رواه عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) وهو في صحيح البخاري ١٣/١ وسنن أبي داود ٣١٢/٢ .

(٤) ينظر سنن ابن ماجة ١٢٩٨/٢ وشرح السنة للبغوي ٢٩/١ .

، ثُـمَّ كَالَّـذِي يُـهْـدِي بَقَـرَةً ...) [1]، قـال بعـض أئمـة أهـل اللغـة المـراد بـالتهجير إلـى الجمعـة : التبكيـر ، وهـي لغـة حجازيـة [2]، وسـمي المبكـر مُهَجِّرًا ؛ لأنـه يتـرك مـا يشـغله مـن أمـور الـدنيا ويسـارع بالتوجـه إلـى الله وسماع الخطبة ، ولما كان التبكير لله (تعالى) سميت الدلالـة " شرعية " .

الدلالة في التفسير :

للمفسرين في قوله (تعالى) : ﴿ مَهْجُورًا ﴾ قولان :

أحدهما : أن المشركين من أهل مكة تركوا القرآن ، ولم يؤمنوا بـه ، ولم يرفعوا إليـه رأسًا ، ولـم يتـأثروا بوعده ووعيـده ، فيكـون " مهجـورًا " مـن الهَجْر أو الهِجران بمعنى الترك ، وهو قول ابن زيد ، فيكون التفسير جاء على الدلالة الأصلية للفظ "هجر" في اللغة [3].

الآخر : أن قوله " مهجورًا " من الهَجْر بمعنى الهَذَيان ، أو الهُجْر بمعنـى قـول الفُحش ، والكـلام علـى الحـذف والإيصـال [4]، أي : جعلـوه مهجورًا فيه ، إما على زعمهم الباطل ، نحو ما قالوا : إنه أساطير الأولين اكتتبها ، وإما بأن هجروا فيه ورفعوا أصواتهم باللهذيان لما قرئ لئلا يُسمع كما قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، وهو قول مجاهد وإبراهيم –

---

(١) رواه أبو هريرة (ﷺ) في صحيح البخاري ٣١٤/١ وسنن ابن ماجه ٣٤٧/١.

(٢) ينظر تهذيب اللغة [هـ ج ر] وكشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٩١٥/١ .

(٣) ينظر جامع البيان ٢٦٤/١٩ والكشف والبيان ١٣٢/٧ وروح البيان للألوسي١٤/١٩.

(٤) لأنه من الفعل اللازم " هجر في الشيء " ، فعند صياغة اسم المفعول يذكر معه حرف الجر ، وهو واسطة التعدي ، وإن كان محذوفًا هنا .

كما تقدم . فيكون التفسير جاء على الدلالة العرفية [١]، وعلى هذه الدلالة – أيضًا – جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ [٢]، فالضمير في " به " للبيت العتيق ، يقولون : نحن أهله ، وإذا كان الليل سمروا وهجروا ، يعني أنهم كانوا يسبون النبي (ﷺ) ويهجونه في أشعارهم إذا خلوا حول البيت ليلاً ، ويصفونه بما ليس فيه [٣].

وأولى القولين هو حمل التفسير على الدلالة العرفية ؛ لأنها متطورة أو متفرعة من الدلالة الأصلية ، وتفيد مفهوم الهجر بمعناه الأعم ودلالاته المتعددة ، فيكون الهجر بمعنى الإعراض والهذيان وقول الفحش مرادًا من قوله (مهجورًا)؛ لذا قال ابن عباس : " اتخذوا هذا القرآن مهجورًا ، أي : مسبوبًا متروكًا ، ولم يعملوا بما فيه " [٤].

ويؤيد هذا من السياق اللغوي لآي القرآن الكريم قوله (تعالى) ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [٥]وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [٦].

ويلحظ أن ابن اليزيدي قد اقتصر على الدلالة العرفية في تفسيره لهذه الكلمة ، حيث جعلها مشتقة من هجر المريض ، إذا : هذى ، وهو اشتقاق دلالي ؛ لأن صورة الأخذ منصبة على تفرع المعنى دون اللفظ .

---

(١) ينظر تفسير مجاهد ٤٥٢/٢ وجامع البيان ١٩/ ٢٦٤ وروح المعاني ١٤/١٩.

(٢) المؤمنون [٦٧] .

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ١٩٥/٣ والمعجم الكبير للطبراني ٧٤/١١ وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٧٠٢.

(٤) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ص ٣٧٩ .

(٥) الأنعام من الآية [٢٦] .

(٦) فصلت من الآية [٢٦] .

المبحث الرابع

الدلالة الشرعية

وهي : دلالة اللفظ المستفادة من الشرع ، دلالة غير ما كانت عليه في الأصل بالوضع اللغوي [١]. أو هي كل لفظ وضع لمعنى في اللغة ، ثم استعمل في الشرع لمعنى آخر ، مع هِجران الاسم اللغوي عن المسمى بحيث لا يسبق إلى أفهام السامعين الوضع الأول [٢]. ويقال لها – أيضًا – الحقيقة الشرعية .

من هذا التعريف يتبين أن الدلالة الشرعية تعد انتقالاً للفظ من معني لمعنى آخر تعارف عليه بحكم الشرع بعد أن خفيت العلاقة بين

---

(١) النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي ص ٨٨ .

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٥٥٥ .

المعني الأصلي والشرعي ، قال أبو الحسن المرداوي (ت٨٨٥هـ) : " اعلم أن اللفظ إذا وضع لمعنى ، ثم نقل في الشرع إلى معنى ثان لمناسبة بينهما ، وغلب استعماله في المعنى الثاني ، يسمى :منقولاً شرعياً " [١].

لكن ينبغي أن يعلم مما جاء في التعريف من قوله : " مع هِجران الاسم اللغوي عن المسمى ... " أن معناه : خفاء المعنى الأصلي للفظ عند استعماله في مجال الشرع ، وإلا فاستعماله في اللغة باق يرجع إليه عند محاولة الربط أو إظهار العلاقة بين ما اصطلح عليه في الشرع وبين المعنى الوضعي في اللغة . والمقصود بالشرع في التعريف : هو ما استجد من معنى لألفاظ اللغة بظهور الإسلام مما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وعليه فهي نوع خاص من الدلالة العرفية ، تطلق على ما اصطلح عليه المتقدمون من أهل اللغة بـ " الألفاظ الإسلامية " [٢].

فكلمة الفسق تعني في الشرع : خروج الإنسان عن طاعة الله ، وهو معنى جدَّ في الإسلام ، ولم يكن يعرف في العصر الجاهلي إلا بمعنى خروج الرطبة عن قشرها ، والعلاقة بين المعنيين القديم والحديث هي مطلق الخروج قال الزبيدي : "... ونقلَ الأصبهانيُّ عن ابنِ الأعرابيّ : لم يُسْمع الفاسِقُ في وصْفِ الإنسان في كلامِ العَرب . وإنّما قالوا إذا خَرجت الرُّطَبَة من قشرِها : فسَقَت الرُطَبَةُ عن قِشْرِها [٣]. ونقل شيخُنا عن بعضِ فُقَهاءِ اللُّغَة أنّ الفِسْقَ من الألْفاظِ الإسلامِيّةِ ، لا يُعرَفُ إطلاقُها على هذا

---

(١) التحبير شرح أصول التحرير في أصول الفقه ٤٩٢/٢ .

(٢) المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٢٣٥/١ .

(٣) المفردات ص ٣٨٠ [ف س ق] .

الَمْغى قبلَ الإسلام وإن كان أصلُ مْغاها الخُروجَ ، فهي من الحَقائِق الشّرْعِيّة التي صارَتْ في مْغاها حَقيقةً عُرْفِيّةً في الشّرْعِ "[1]

والصَّلاةُ أصلها في اللغة : الدعاء لقوله تعالى ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾[2]، أي : ادعُ لهم ، ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[3]، أي : دعاء ،ثم سميت بها هذه الأفعال المشهورة في الشرع ؛ لاشتمالها على الدعاء [4]. وعلى الدلالة الشرعية جاء قوله :(تعالى) ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾[5] ، :﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [6] وغيرها من الآيات . ويلحظ من هذه الآيات أن كلاً من الدلالتين قد جاء في القرآن مما يدل على بقاء المعنى الأصلي بجوار المعنى الشرعي في اللغة والقرآن بقاءً للأصل بجوار فرعه .

هذا وقد جاءت ألفاظ من آي الذكر الحكيم مفسرة على الدلالة الشرعية في غريب القرآن لابن اليزيدي ، وبيانها كالتالي :

أ – طلح :

قال المفسِّر في بيان قوله (تعالى) : ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ [7] : " لا شوك فيه وقال بعضهم : زعم المفسرون أنه الموز " [8].

---

(١) تاج العروس [ف س ق] .

(٢) التوبة من الآية [١٠٣] .

(٣) البقرة من الآية [١٢٥] .

(٤) المصباح المنير للفيومي [ص ل ى] .

(٥) طه [١٤] .

(٦) طه [١٣٢] .

(٧) الواقعة [٢٩] .

(٨) غريب القرآن وتفسيره ص ١٧٥ .

فالظاهر من كلامه أنّ الطلح في كلام العرب : شجر ذو شوك ، غير أن طلح الجنة – كما في هذه الآية – لا شوك فيه ، وأن المفسرين قد فسروه بالموز ، وهو شجر من أشجار الفاكهة معروف.

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

قال الخليل : " [الطلح] : شَجَرُ أمِّ غَيْلان شَوْكُه أَحْجَنُ ، من أعظم العِضاه شَوْكاً وأصلبِه عُوداً وأجوده صَمْغاً الواحدة طَلْحة .والطَّلْح في القرآن الُموْز"(١).

وقال أبو عبيدة (تـ٢١٠هـ) : "وطَلْحٍ مَنْضُودٍ " زعم المفسرون أنه الموز وأما العرب الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك ، وقال الحادي :

بشَّـــرها ليلُهـــا وقـــالا .:. غداً ترين الطّلْحَ والحبالا " (٢)

فمن هذين القولين يتبين أن الطلح في العرف اللغوي عند العرب شجر عظيم من شجر العضاه ، كثير الورق شديد الخضرة، له شوك أحجن ونَوْر طيب الريح ، ينبت في بطون الأودية وترعاه الإبل وتستظل به ، وهو الطِّلاح – أيضًا ، ومفردها : طَلْحة ، ويقال لها أم غَيْلان (٣).

قال الشاعر في الطِّلاح :

إنَّـــى زعِـــيٌم يـــا نُـــوَيْ .:. قَـــةُ إنْ نَجَـــوْتِ مـــن الـــزَّوَاحْ

---

(١) العين [ط ل ح] .

(٢) البيت من الرجز وهو في مجاز القرآن ١٢١/١ وجامع البيان ١١٢/٢٣ .

(٣) ينظر تهذيب اللغة والصحاح والمحكم [ط ل ح]

أن تَهْبِطين بلاد قَوْ ∴ مٍ يَتعون من لطِّلاَحْ [1]

وقال في أم غيلان :

يا أُمَّ غَيْلانَ لَقِيتِ شَرًّا ∴ لقد فَجَعْتِ أَمناً مُغْبِرًّا

يَزُورُ بيتَ اللهِ فِيمَنْ مَرًّا ∴ لاقَيْتِ نَجَّاراً يُجِرُّ جَرًّا

بالفأْسِ لا يُبْقِي على ما اخْضَرًّا[2] .

كما يؤخذ – أيضًا مما قاله الخليل وأبو عبيدة أن تفسير الطلح بالموز لم يكن معروفًا في اللغة من قبل بل جاء في الإسلام على الدلالة الشرعية المكتسبة من القرآن [3].

وَجَعْلُ الطلح مرادفًا للموز في هذه الآية هو المأثور عن كبار الصحابة وأئمة التابعين كعلي وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري،والحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد وقتادة(رضي الله عنهم)[4].

وعليه فالمنضود : الذي نضد بالورق أو بالثمر من أسفله إلى أعلاه ، بحيث لا يظهر له ساق ، من قول العرب : نضدت المتاع ، إذا وضعت بعضه على بعض [5].

---

(١) البيتان من الرجز وهما في تهذيب اللغة وللسان [ط ل ح] ، والزواح : الذهاب .

(٢) الأبيات من الرجز وهي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٢٦١ واللسان [ط ل ح] .

(٣) ينظر المحكم [ط ل ح] .

(٤) ينظر غريب الحديث لإبراهيم الحربي ٦٣٠/٢وجامع البيان ١٠٩/٢٣ وزاد المسير لابن الجوزي ١٣٩/٨ .

(٥) ينظر صحيح البخاري ١٨٤٩/٤ وغريب الحديث لابن قتيبة ٥٢٣/٢ .

على أن من المفسرين من فسر الطلح – هنا على الدلالة العرفية عند العرب ، فقال : الطلح : شجر عظام كبار له شوك ، وهو قول الفراء وأبي عبيد ة . فإن قيل ما الفائدة في الطلح حينئذٍ ؟ فالجواب : أن له نَوْرًا وريحًا طيبة وظلاً باردًا ، فقد وعدهم ما يعرفونه ويميلون إليه وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا [1]

ويلحظ من هذا العرض أن ابن اليزيدي قد ذكر الدلالتين العرفية والشرعية في تفسيره على الرغم من إيجازه وقلة عبارته . و العلاقة بين الدلالتين واضحة ؛ فكل من العضاه والموز شجر أخضر كثير الورق وارف الظل .

ب – الزلفى :

وفي تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ ﴾ [2]، قال عبد الله : "زلفًا من الليل : ساعة بعد ساعة من الليل ، وقال المفسرون : أريد به المغرب والعشاء ،وقالوا طرفي النهار: الظهر والعصر ، وبه سُمِّيت المزدلفة ، والزُّلْفَة : منزلة بعد منزلة "[3].

مما ذكر ه في بيان معنى الزلفى يتبين أن الدلالة اللغوية لها بحسب الأصل هي التقرب من شيء والدنو منه درجة بعد درجة ، أما الدلالة المكتسبة من الشرع فهي إطلاق الزلف على فريضتي المغرب والعشاء ؛ لقرب ما بينهما من الزمن .

---

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ومجاز القرآن١/١٢٤، وزاد المسير ١٣٩/٨ .

(٢) هود [١١٤] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٨٢ .

دلالة للفظ بين اللغة والتفسير :

أصل الزَّلَف في كلام العرب : التقدم أو التقرب [١]. يقال : أزلفت الرجل إلى كذا : قربته وأدنيته منه ، قال الشاعر :

وكلُّ يومٍ مَضى أولَ ليلةٍ سَلَفَتْ ∴ فيها النُّفوسُ إلى الآجالِ تزْلِفُ[٢]

ويُقال للمراقي: المَزالِفُ، لأن الرّاقِي فيها يُزْلِفُه أي يُدْنِيه مما يَتّقي إليه[٣]. والمَزْلَفَةُ: قرية تكون بين البر وبلاد الريف، والجميع: المَزالِفُ – أيضا ، وإنّما سُمِّيت بذلك لقُربِها من الرِّيف[٤].قال الشاعر :

دقاقُ الخُصُورِ لم تعرِّ قُرونها ∴ لشجوٍ ولم يحضرْنَ حمى المزالِفِ[٥]

والمُزْدلِفَةُ : موضع بمكة ، بين عَرَفات ومِنًى ، سُمِّي بذلك لأنه يُتَقَرَّبُ فيها إلى الله تعالى ، أو لاقْتِراب النَّاس إلى مِنًى بَعْد الإفاضة من عَرَفات ، أو لمَجيء النَّاس إليها في زُلَفٍ من اللَّيل ، أو سُمِّيَتْ لأَنَّ آدم اجْتَمع فيها مع حوَّاء عليهما السَّلام ، وازْدلَفَ منها ، أي : دَنا ، كما سُمِّيَتْ

---

(١) ينظر تهذيب اللغة والمقاييس والصحاح [ز ل ف] .

(٢) من البسيط ، وهو في تفسير القرآن للسمعاني ٥١/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٠٦/١٣.

(٣) العباب [ز ل ف] .

(٤) ينظر مقاييس اللغة والعباب [ز ل ف] .

(٥) البيت من الطويل ، وهو في أساس البلاغة [ز ل ف] ، ولم أجده في غيره

جَمْعاً لذلك [١]. وعلى تلك الدلالة جاء قوله (تعالى) : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الأَخَرِينَ ﴾ [٢]

أي : قربنا الآخرين من الغرق ، وهم أصحاب فرعون ، و قال أبو عبيدة : جمعنا ثم الآخرين ، وكلا القولين حسن جميل ؛ لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض [٣]. وقوله : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤] أي : أُدْنِيَت وقُرِّبَت .[٥]

والزُّلفى والزُّلفة : القُربة والمنزلة والطائفة من أول الليل ، وجمعها : زُلَف وزُلُفات وزُلْفات [٦].قال العجاج في وصف بعير :

نـاجٍ طَـوَاه الأَيْـنُ مِمّـا وَجَفـا ∴ طَـيَّ اللَّيَـالي زُلَفـاً فَزُلَفـا

سَمَاوَةَ الهِلالِ حتّى احْقَوْقَفا [٧].

وعليه فالدلالة الأصلية اللغوية للزلف في قوله :﴿زلفًا من الليل ﴾ ، أي : ساعة بعد ساعة يقرب بعضها من بعض[٨] ، لكن قصد من التفسير : الدلالة الشرعية ، وهي إطلاق الزُّلَف على المغرب والعشاء ،

---

(١) ينظر العين والصحاح والعباب وتاج العروس [ز ل ف] .

(٢) الشعراء [٦٤] .

(٣) ينظر تهذيب اللغة [ز ل ف] والجامع لأحكام القرآن١٠٦/١٣.

(٤) الشعراء [٩٠] .

(٥) ينظر الكشف والبيان ١٧١/٧ .

(٦) ينظر العين والعباب [ز ل ف] .

(٧) الأبيات من الرجز وهي في ديوانه ص٣٧٤ والصحاح [ز ل ف] ، والأين : التعب ، والوجف :ضرب من سير الخيل والإبل ، وقوله زلفًا فزلفًا :أي ساعات بعد ساعات متقاربة ،وسماوة كل شيء أعلاه ،واحقوقف : إعوجّ ودق

(٨) ينظر العباب [ز ل ف] وشرح السنة للبغوي ١٧٨/٢ .

قال الأزهري مبينًا الدلالتين والعلاقة بينهما : " وأما قوله (تعالى) : وزلفا من الليل ، فإنه أراد صلاة المغرب وصلاة العشاء الآخرة ، وسماها زلفا لأنهما في أول ساعات الليل وأقربها ، وأصله من الزُّلْفى وهي القُربى " [1].

وهذه الدلالة الشرعية هي المروية عن رسول الله (ﷺ) فقد روي عن الحسن ورفعه قال: قد بّين الله مُواقيتَ الصلاة في القرآن ، قال :﴿أَقِمِ الصَّلاةَلِدُلُوكِ الشَّمْسِإِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾[2]، قال: "دلوكها": إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها في الأرضفيء ٌ [ظلّ]. وقال:﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفِي النَّهار ﴾، الغداة، والعصر ، ﴿وزلفًا من الليل﴾ ، المغرب، والعشاء ". قال : فقال رسول الله (ﷺ) :هُما زلفتا الليل ، المغرب والعشاء " [3].

وهذا التفسير هو المأثور – أيضًا – عن ابن عباس وقتادة ومجاهد [4].

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٧٢.

(٢) الإسراء [٧٨] .

(٣) جامع البيان ٥٠٧/١٥ وتفسير ابن كثير ٣٥٥/٤.

(٤) ينظر تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ٢١٤ وتفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ٢٣٢/٣وجامع البيان ٥٠٧/١٥ .

المبحث الخامس

دلالة التخصيص

أو تخصيص العام ، وهو مظهر من مظاهر التطور الدلالي ذكره السيوطي تحت ما يسمى : بالعام المخصص ، وعرفه بقوله : " هو ما وضع في الأصل عاماً ،ثم خصّ في الاستعمال ببعض أفراده"[١] وعرفه بعض علماء اللغة المحدثين ، فقال : " هو خروج الكلمة من معنى عام إلى معنى خاص، بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت تدل عليه الكلمة في الأصل إلى حدٍ ملحوظٍ " [٢] .

---

(١) المزهر ١/ ٤٢٧ .

(٢) دلالة الألفاظ العربية وتطورها د/ مراد كامل ص٢٥ .

يعني بذلك تحويل الـدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي، أو تضييق مجالها ، وعرفه بعضهم –أيضاً– بأنه " تحديد معاني الكلمات وتقليلها " [١] .

ثم إن التخصيص قسمان :

قسم يقصر العام فيه على بعض أفراده ، اعتماداً على دليل خارجي ، أو قرينة سياقية ، دون ذكر التخصيص صراحة ،

وهذا القسم يخص اللفظ المشترك . ذكروا أن اللفظ إذا كان موضوعاً لمعنيين أو أكثر فإن اقترنت به قرينة تخصّص أحد المعاني فهو ذلك المعنى وإن لم تقترن به قرينة من هذا النوع بقيمجملاً [٢]. ومن الأمثلة الدالة على ذلك : الهلالُ ، فإنه يطلق على عدة معانٍ ، هلال السماء وهلال الصيد : وهو شبيه بالهلال يُرْقَب به حمارُ الوحش وهلال النَّعل : وهو الثُّوَابة والهلال : القطْعة من الغبار وهلال الإصبع : المطيف بالظفر والهلال : قطعةُ رَحَى والهلال : الحيَّة إذا سلخت والهلالُ : باقي الماء في الحوض والهلال : الجملُ الذي قد أكثر الضّراب حتى هَزل [٣] ، فلو قال قائل : شربت من الهلال ، أو رميت هلالاً أو قال : امتطيت هلالاً ، لانصرف ذهن السامع إلى التخصيص وإفراد لفظ الهلال لمعنى واحد فقط من بين تلك المعاني ، وهو في الأول بمعنى بقية الماء في الحوض ، وفي الثاني بمعنى حديدة الصيد ، وفي الثالث بمعنى الجمل المهزول .

---

(١) علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص٢٤٥ .

(٢) الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية لعالم سبط النيلي ص١٧.

(٣) المزهر في علوم اللغة ١/ ٢٩٤ .

والقسم الآخر : هو ما يقصر فيه العام على بعض أفراده نتيجة لكثرة الاستعمال في عرف الجماعة اللغوية ، وفي هذا النوع يكثر ذكر لفظ التخصيص صراحة .

ومن ذلك لفظ (السَّبت) فإنه في اللغة الدَّهْر ، ثم خُصَّ في الاستعمال لغة بأحد أيام الأُسبوع : وهو فرد من أفراد الدهر .

وفي أسماء الجماعات:

يقال لجماعة الظباء والبقر: إِجْلٌ وجمعه آجال ، و رَهْبٌ .

و الصُّوار : جماعة البقر خاصة [١]،

والقسم الأول هو المراد بالدرس والبحث هنا دون الثاني ؛ لأن الهدف هو الإفراد دون التخصيص بكثرة الاستعمال في اللغة ، ومما جاء من دلالته في القرآن الكريم في ضوء غريب ابن اليزيدي ما يأتي :

أ- السوء :

قال أبو عبد الرحمن في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾[٢] : " من غير سوء ، قالوا : من غير برص في التفسير " [٣].

فهو يبين معنى الكلمة في التفسير ، ولم يتعرض لمعناها في اللغة ، وما ذكره هو المأثور عن ابن عباس وقتادة ومجاهد [١].

---

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٧ .

(٢) طه [٢٢] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٤ .

دلالة اللفظ في اللغة :

قال الخليل : " السُّوء : نعت لكل شيء رديْء ساءَ يَسُوءُ لازٌم ومجاوزٌ [متعد] وساء الشيءُ قَبُحَ فهو سَيِّءٌ ، والسُّوء : اسم جامعٌ للآفات والدّاء "[٢] .

وقال الراغب الأصفهاني : " السُّوء :كل ما يَغُمُّ الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، ومن الأحوال النفسية والبدنية ، والخارجة من فوات مال وجاه وفقد حميم " [٣].

فمن خلال القولين يتبين أن لفظ " السُّوء " يفيد العموم في الاستعمال اللغوي ، وهو الدلالة على مطلق القُبح الذي يقع على الإنسان أو يصدر منه أو يتصف به .

يقال : ساءه يسُوءُه سَوْءًا وَمساءَة ومسائيةً : نقيض سرّه ، فعل به ما يكره ، واستاء هو : اهتم ، وسُوئت له وجهه :قَبَّحتُه ، ورجل أسوأ : قبيح وامرأة سَوْآء قبيحة ، وفي الحديث :سَوْآءُ ولُودٌ خيرٌ من حَسْناءَ عَقِيم)[٤]، وكل كلمة قبيحة أو فعلة قبيحة سوآء [٥]، قال أبو زبيد الطائي :

لَا ضَيْفاً أَخُوكُم لأَخِينَا .:. في شَرابٍ ونْعمة وشِواءِ

---

(١) ينظر تفسير مجاهد ٢٩٥/١ وجامع البيان ١٣/ ١٧ ومجمع الزوائد للهيثمي ١٥٢/٧ .

(٢) العين [س و ء] .

(٣) المفردات ص ٢٥٣ .

(٤) ينظر السنن الكبرى للبيهقي١٤٠/١والفائق للزمخشري٢١٥/٢ .

(٥) ينظر مقاييس اللغة والصحاح والمحكم [س و ء] .

لَمْ يَهِبْ حُرْمَةَ النَّدِيمِ وحُقَّتْ ∴ يَا قَوْمِي للسَّوْأةِ السَّوْآءِ [1]

وأساء الشيء : أفسده ولم يحسن عمله ، وفي المثل :أساء كارهٌ ما عَمِل[2].

والسُّوأى : بوزن فُعْلى اسم الفَعْلة السيئة ، وهي ضد الحُسْنى للحسنة ، محمولة على جهة النعت في حدِّ أَفْعل وفُعْلى كالأسوأ والسُّوأى[3]، قال أبو الغول النهشلي :

لاَ يَجْزُونَ مِنْ حَسَنٍ بِسُوأَى ∴ لاَ يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ لِينِ [4]

وقوله (تعالى) : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَأَسَاءُوا السُّوأَى ﴾[5] ، أي عاقبة الذين أشركوا النَّار ، أي نار جهنم – أعاذنا الله منها . وسُمِّيت السيئة سيئة والنار سُوأى ؛ لقبح منظرها [6]. ويضاف المرأ إلى السوء إضافة الموصوف إلى صفته ، إذا أريد المبالغة في سوء خُلُقه وقبح طباعه ، من ذلك قول أوس بن حجر :

وَرِثْنا المجدَ عن آباء صِدْقٍ ∴ أَسَأْنَا في دِيارِهُم الصَّنِيعا

---

(١) البيتان من الخفيف ، وهما في المعاني الكبير لابن قتيبة ١١٠/١ وتهذيب اللغة [س ا ء]، والشاعر يذكر رجلاً قتل رجلاً أضافه، فسمى هذه الفعلة بالسوأة السوأء .

(٢) ينظر جمهرة الأمثال للعسكري ١٩٧/١ ومجمع الأمثال للميداني ٣٣٨/١ ، يضرب مثلا للرجل يُكره على الأمر فلا يبالغ فيه .

(٣) ينظر العين [س و ء] .

(٤) البيت من الوافر ، وهو في الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٧/١ وديوان الحماسة ٨/١ وتاج العروس [س و ء] .

(٥) الروم [١٠] .

(٦) ينظر مقاييس اللغة وتاج العروس [س و ء] .

إذا الحَسَبُ الرَّفيعُ كَدَتْهُ .·. نَاةُ السَّوْءِ أَوْشَكَ أن يَضِيعا [1]

وقال آخر :

دَاوِ ابنَ عَمِّ السُّوءِ بالنَّأْيِ والْقَلَى .·. كَفَى بِالْقَلَى والنَّأْيِ نَهُ مُنَوِيا[2]

ثم خُصَّ استعمال السُّوءِ في بعض السياقات اللغوية – للدلالة على داء البرص ، وهو بياض يقع في الجلد معروف [3]، وأصل ذلك الاستعمال كان عن طريق الكناية والمجاز فالعرب تكني عن البرص بالسوء ، كما تكني عن العورة بالسوأة ؛ لأن الطباع عندهم تنفر عن التصريح به والأسماع تمجه [4]. من ذلك قولهم : ما أنكرك من سوء أي : ليس إنكاري لك عن برص حدث بك فغير صورتك ، ولكني لا أثبتك [5]. ومنه قول الإمام علي بن أبي طالب (ﷺ) في دعائه : " (... ولا مضروبا على عروقي بسُوء) ، أي : لا أُبرص [6].

فدلالة السوء على البرص يعد من قبيل التخصيص الدلالي ، أو التضييق في المعنى ، وهو مظهر من مظاهر التطور ، نشأ عن طريق الكناية ؛ لدخول البرص في معنى القبح المعبر عنه بلفظ السُّوء .

دلالة اللفظ في التفسير :

---

(١) البيتان من الوافر، وهما في ديوانه ص٣٩ والأغاني١٢/٧٥ .

(٢) البيت من الطويل لبعض بني سد ، وهو في ديوان الحماسة ١/١٠٤ والتذكرة لابن حمدون ٢/٥٢ ، ومعنى قوله : داو ، أي عالج ، والنأي : البعد .

(٣) ينظر جمهرة اللغة ١/١٣٦ .

(٤) ينظر أساس البلاغة وتاج العروس [س و أ] و أبوتراب الغنوي في كتابه الاعتقاب لمحمود عبد الرحيم الصافي ص ٣٦٠ .

(٥) ينظر المفضل لأبي سلمة ص ١٠وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١/٨٥.

(٦) شرح نهج البلاغة ١١/ ٨٥ .

وعلى دلالة التخصيص جاء تفسير قوله (تعالى) ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي : تخرج نقيَّة شديدة البياض من غير برص كما ذكر ذلك ابن اليزيدي ، وأثر عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقد سلف ذكره [1].

وقوله (من غير سوء) يسمى عند أهل البيان بـ "الاحتراس " وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم مَنْ يتوهم غير المراد ، وذلك أن البياض قد يراد به البَرَص والبهق ، فأتى بقوله : (من غير سوء) نفيًا لذلك ، كأنه قال : تخرج بيضاء غير برصاء [2].

ب – عَرَشَ :

في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [3] قال أبو عبد الرحمن في قوله (يعرشون) : " يبنون ، والعرش في هذا الموضع البناء " [4]. يدل هذا التفسير على أن لفظ [عرش] جاء في القرآن بمعانٍ متنوعة ، خصص منها في هذا الموضع الدلالة على البناء .

اللفظ بين اللغة والتفسير :

---

(١) وينظر – أيضًا – مجاز القرآن ٧٥/١ وتفسير القرآن للسمعاني ٣٢٧/٢ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ١٤٢ واللباب في علوم الكتاب ٢١٩/١٣ وأبو تراب الغنوي في كتابه الاعتقاب ص ٣٦٠ .

(٣) الأعراف [١٣٧] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٦٥ .

قال ابن فارس : " العين والراء والشين أصلٌ صحيح واحد ، يدلُّ على ارتفاعٍ في شيء مبنّي، ثم يستعارُ في غير ذلك "[١] . وقال الراغب الأصفهاني : " العرش في الأصل شيءمسقَّف ، وجمعه عروش ، ومنه قيل عَرشت الكرم وعرَّشته : إذا جعلت له كهيئة سقف وقد يقال لذلك : المعرَّش "[٢].

فمن هذين القولين يتبين أن مادة [ع رش] تفيد في اللغة الدلالة على هيئة شيء مرتفع مسقوف على وجه العموم ، ثم تتفرع منه معان خاصة ، لها علاقة بهذا المعنى .

من ذلك الَعْرش والَعريش :خَيمة أو مِظَلَّة من جريد أو خشب ، يُجعل فوقه الثُّمام ، والجمع عُرُش [٣]. قال الأزهري : " قد رأيت العرب تسمى الَظَال التي تُسَوّى من جريد النَّخل ويُطرَح فوقها الثُّمام عروشا، والواحد منها عريش، ثم يُجَمع عُرُشاً، ثم عروشاً جمع الجمع "[٤].

ولا يزال هذا لاستعمال سائدًا في أرياف وقرى صعيد مصر ، يقولون لتلك المظلة : عريشة – بالتاء – وأكثر ما تكون من القصب. ومن ذلك العْرش : وهو ما عُرِّش للكَرْم [العنب] من عِيدان تُجْعَل كهيئة السقف فيوضع عليها قُضبان الكرم ، يقال عَرَش الكرم يَعْرِشُه عَرْشًا وعَرَّشه تعريشًا : عمل له عرشًا ورفع دواليه على الخشب ليمتدّ عليه . والعريش

---

(١) مقاييس اللغة [ع ر ش] .

(٢) المفردات في غريب القرآن ٣٢٩

(٣) ينظر الصحاح والمصباح المنير وتاج العروس [ع ر ش] ، والثمام : نبت ضعيف له خُوص أو شبيه بالخوص ، وربما حُشي به وسُدّ به خَصاص البيوت تتخذ منه المكانس .

(٤) تهذيب اللغة [ع ر ش] .

:شبه الهَوْدج وليس به يُتخذ للمرأة تقعد فيه على بعيرها سُمي بذلك ؛ لأنه شبيه في الهيئة بعرش الكرم [١]. وعلى تلك الدلالة جاء قوله (تعالى) : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ﴾ [٢].

قال الضحاك : معروشات وغير معروشات :الكَرم خاصَّة ،منها ما عُرِّش ومنها ما لم يُعرَّش[٣].

وعَرْش البئر طَيُّها بالخشب بعد أن يُطوى أسفلُها بالحجارة قدر قامة ، فذلك الخشب هو العرش ، والجمع عروش ، ويقال : بئر معروشة ، فإذا طويت بالحجارة من أعلاها إلى أسفلها فهي بئر مطوية[٤].

قال أبو عمرو الشيباني : " المُعرَّش : إذا حفرتَ في مكانٍ ثم دنوتَ الماء وخفتَ أن ينهال عليك تطويها بالخشب حتى تبلغ رأسها ثم تحفرها بَعْدُ. وقال [الشاعر]:

لاَ لا أَرى ماَء المُعَرَّشِ مُنْسِياً .:. قُلوباً لَى أَحْواضِ بَقْعاَء نُزَّعا "[٥]

والعَرْش – أيضًا : الخشب الذي يقوم عليه المستقي ، وهو بناء يبنى من خشب على رأس البئر يكون ظِلالاً ؛ فإذا نزعت القوائم سقطت العروش ويقال له المثَابة [٦]، قال القُطامِيُّ :

---

(١) ينظر الصحاح والمفردات للراغب وتاج العروس [ع ر ش] .

(٢) الأنعام [١٤١] .

(٣) الكشف والبيان ١٩٧/٤ .

(٤) ينظر الصحاح واللسان [ع ر ش] .

(٥) الجيم ٣٠١/٢ و البيت من الطويل ولم أجده بهذه الرواية في غير الجيم ، وبقعاء : موضع .

(٦) ينظر الصحاح وتاج العروس [ع ر ش] .

ومـــا مِثَابـــاتِ عُـــرُوشٍ بَقِيَّـــةٌ ∴ إِذا اسْتُلَّ من تَحْتِ عُرُوشِ الدَّعائِم[1]

والعَرْش في كلام العرب : سرير الملك ومجلس السلطان ؛ سُمِّي بذلك اعتبارًا بعلوه ، وعليه جاء قوله (تعالى) : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾[2] وقوله ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[3] .

ويكنى به عن العز والسلطان والمملكة فيقال : ثُلَّ عَرْش فلان ، أي وَهى أمره وذهب عِزُّه [4]،قال زهير بن أبي سلمى :

دَارَكْتُما الأحلافَ قد ثُلّ عَرْشُها ∴ وذبيانَ قد زَلَّتْ بأقدامها النعلُ[5]

والْعَرْش في كلام العرب – أيضًا – سقف البيت ، وجمعه عروش ؛ لأنه سقف مرتفع ومنه الحديث : (فجاءت حُمَّرَةٌ فجَعَلَت تَعرِّش) ، التَّعْريشُ : أنْ تَرْتَفِعَ وتُظَلِّل بجناحَيْها على مَنْ تَحْتَها [6]. وفي حديث النفخ في الصور ، قال (ﷺ) : (كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ يُرَجِّحُهُ الأَرْوَاحُ

---

(١) من الطويل وهو في ديوانه ص٣٧ و في تهذيب اللغة والمحكم [ع ر ش] ، والدعائم : القوائم .

(٢) يوسف [١٠٠] .

(٣) الشعراء [٨٣] .

(٤) ينظر تهذيب اللغة والصحاح والمفردات للراغب [ع ر ش] .

(٥) من الطويل ، وهو في ديوانه ص٥٠ وتهذيب اللغة[ع ر ش] .

(٦) ينظر مسند ابن أبي شيبه ٢٠٨/١والنهاية لابن الأثير [ع ر ش]، والحمرة : طائر صغير كالعصفور .

)[1] ، ومنه قيل لرئيس القوم والمدبر لأمرهم عَرْش على التشبيه بعرش البيت [2]وبه فُسِّر قول الخنساء :

كَانَ أُبُو حَسَّانَ عَرْشاً خَوَى ∴ مِمَّا بَنَاه الدَّهْرُ دَانٍ فَلِيلْ[3]

أَيْ كَانَ يَستظِلُّ بِتَدْبِيرِه ، وعلى هذا المعنى جاء قوله(تعالى) ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [4]، أي : ساقطة على سُقُفِها [5].

والعرش : البيت والمنزل أو القصر ؛ لأنه بناء مرتفع مسقوف يقال : عَرَش البيت يَعْرِشُه عَرْشًا وعُرُشًا : بناه ، ومنه قول سعد بن أبي وقاص (ﷺ) حين بلغه أن معاوية (ﷺ) ينهى عن متعة الحج فقال : (فَعَلْنَاهَا وَهَذَا كَافِرٌ بِالْعُرُشِ يَعْنِي مُعَاوِيَةَ)[6]، أي : وهو مقيم بعروش مكة ، وهي بيوتها في حال كفره [7].

وعلى تلك الدلالة جاء قوله (تعالى) ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ ، أي : وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، أخرجناهم من ذلك كله وخربنا

---

(١) مسند إسحاق بن راهويه ٨٤/١ وإتحاف الخيرة المهرة لأبي بكر البوصيري ١٤٨/٨ .

(٢) تاج العروس [ع ر ش] .

(٣) البيت في ديوانها ص٨٨ والعين [ع ر ش] وتهذيب اللغة [خ و ى] ، وخوى : وقع وتهدم .

(٤) البقرة [٢٥٩] .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/٣ .

(٦) صحيح مسلم ٨١/٧ ومسند أحمد ١٣٨/٣ .

(٧) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [ع ر ش] .

جميع ذلك ، وهو المأثور عن ابن عباس ومجاهد [1]، وبه قال ابن اليزيدي – كما تقدم .

فتفسير لفظ "عرش " بالبناء في هذه الآية دون غيره من المعاني اللغوية المتقدمة ، يعد إفرادًا وتخصيصًا لدلالة هذا اللفظ ؛ ولأن لفظ " نَمَّر " قبله يفيد في اللغة استئصال الهلاك .

جـ – العفو :

في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] ، قال ابن اليزيدي : " العفو في التفسير : ما فضل عن أهلك ، وقال بعضهم : هو ما أطقته من غير أن تجهد نفسك " [3].

فهو يقتصر في بيان معنى العفو – هنا – على دلالته في التفسير ، دون أن يتعرض لدلالته في اللغة ، والسبب في ذلك تعدد دلالات اللفظ في اللغة بما لا يسمح ومقام الاختصار والإيجاز الذي سار عليه في هذا الكتاب ؛ ولتفرع معنى العفو في هذه الآية من دلالته في اللغة .

دلالة اللفظ في اللغة :

---

(١) ينظر جامع البيان ٧٨/١٣ والكشف والبيان ٢٧٣/٤ .

(٢) البقرة [٢١٩] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٣٦ .

المعنى الأصلي لمادة [ع ف و] وما اشتق منها هو الترك ، ثم يتفرع منه معنيان آخران ، أحدهما : الزيادة أو الكثرة ، والثاني : القصد إلى شيء ، وعلى هذه المعاني الثلاثة يدور استعمال الكلمة في اللغة [١].

فمن معنى ترك الشيء قول بعض العرب : عفا ظهر البعير ، إذا تُرك لا يركب وأعفيته أنا ، قال الشاعر :

سَأَلْت إذا الكَواكِبُ خْلَفَتْ ∴ وعَفَتْ عَطِيَّة طالبِ الأَنْساب [٢]

يقول :لم يجد أحدًا كريمًا يُرحل إليه ، فعطّل مطيَّته وتركها حتى سمنت وكثر وبرها [٣]والعُفاوة ما يُترك من المرق في أسفل القدر ، يرده مستعير القدر معها ، قال عوف بن الأحوص الباهلّي :

سَلاَ تَسْئِلِي واسْأَلِي عن فَعالِيقَتي ∴ إذَا رَدَّ عَافِى القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُها[٤]

والعَفْو : الأرض الغُفْل التي لم تُوطأ وليست بها آثار [٥]، قال الأخطل :

قَبيلةٌ كشِراكِ النَّعْلِ دارِجةٌ ** إنْ يَهْبِطُوا العَفْو لمْ يُوجَدْ لهم أَثَرُ[١].

---

(١) ينظر مقاييس اللغة وتاج العروس [ع ف و] .

(٢) البيت من الكامل ، وهو في المحكم واللسان [ع ف و] ، وإخلاف الكواكب : ذهابها .

(٣) المحكم [ع ف و] .

(٤) البيت من الطويل وهو في المفضليات للضبي ص ٣٠ ومنتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك ١/١٢٥

(٥) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [ع ف و] .

وعلى هذه الدلالة جاء قول الله (تعالى) : ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ [٢]، معناه : إلا أن يعفو النساء ، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، وهو الزوج أو الولي إذا كان أَبا ، ومعنى عفو المرأة أن تعفو عن النصف لها فتتركه للزوج ، أو يعفو الزوج عن النصف فيعطيها الكل [٣].وعليها – أيضًا – جاء قول الرسول (ﷺ) :

(قَد عَفَونا لَكُم عَنِ الخَيلِ والرَّقِيقِ فَهاتُوا رُبعَ العُشُورِ)[٤] ، معناه : تركت أن أوجب عليكم الصدقة في الخيل والرقيق [٥].

ومن معنى الترك –أيضًا – قولهم : عَفا المنزل يَعْفُو عَفْوًا وعُفُوًّا وعفاءً ، إذا درس وانمحت آثاره ، وعفته الريح ؛ وذلك أنه شيء يترك فلا يتعهد ولا يُنزل ، فيخفى على مرِّ الأيام . قال لبيد :

عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها ** بِمِنًى تأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها [٦].

وقال زهير بن أبي سُلمى :

---

(١) البيت من البسيط في ديوانه ص ١٩٢ والصحاح [ع ف و] ، وشراك النعل : وجهه ، ودارجة : بالية ، والعفو : الأرض الصعبة ، يصفهم بالقلة والذل .

(٢) البقرة [٢٣٧] .

(٣) ينظر العين والصحاح والمحكم][ع ف و] .

(٤) رواه على (كرم الله وجهه) ينظر الأموال لأبي عبيد ٦٩/٣ والدر المنثور للسيوطي ١٦/٣ .

(٥) مقاييس اللغة [ع ف و] .

(٦) البيت من الكامل ، وهو في ديوانه ص١٠٧ والزاهر في معاني كلمات الناس ٦٣/١ ، ومنى : جبل أحمر عظيم ، وتأبد : توحش ، والغول : ما انهبط من الأرض ، والرجام : الحجارة .

تَحَمَّلَ أَهلُها مِنها فباذُوا ** على آثارِ مَن ذَهَبَ العَفاءُ [1].

ومنه قولهم : عفا الله عنك ، معناه : درس الله ذنوبك ومحاها عنك ،على التشبيه للمعنوي بالمحسّ وعفو الله عن خلقه :تركه إياهم فلا يعاقبهم[2]. قال الخليل : " العفو : تركُكَ إنساناً استوجَبَ عُقوبةً فعفوتَ عنه تعفُو والله الَعُفُوُّ الغَفور " [3].

ثم يتفرع من معنى الترك معنى الزيادة والكثرة أو الفضل ، وأصل ذلك فيما ينمو ويزداد كالشعر والصوف والوبر والنبات ، إذا تُرك حلقه أو جزه ، يقال : قد عفا الشَّعر يعفو عفوًا ، إذا كثُر وقد عفوته أعفوه عفوًا ، وأعفيته أعفيه إعفاءً :إذا كثَّرته ، ومنه الحديث : (أمر النبي (ﷺ) أن تُحفْى الشَّوارب وتُعفْى الّلحَى)[4]، معناه : أن تكثر وتوفر . وقد عفا القوم يعفون عفوًا ، إذا كثروا ، قال (تعالى) ﴿ حَتَّى عَفَوْا ﴾ [5]، معناه : حتى كثروا . والعِفاء : ما كثر من الوَبر والريش ، يقال : ناقة ذات عِفاء ، أي : كثيرة الوبر طويلته ، قد كاد ينسل للسقوط ، وسُمِّي عِفاءً ؛ لأنه تُرك من الَمْط والجزِّ[6] ، قال الشاعر :

---

(١) من الوافر في ديوانه ص١١ ومقاييس اللغة [ع ف و] والعفاء : التراب.

(٢) ينظر الزاهر في معاني كلمات الناس ٣٧١/١ ومقاييس اللغة والنهاية لابن الأثير [ع ف و] .

(٣) العين [ع ف و] .

(٤) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ١٤٧/١ والفائق للزمخشري ٢٩٤/١.

(٥) الأعراف من الآية [٩٥] .

(٦) ينظر العين والمقاييس [ع ف و] .

أُجُدٌ مُؤثَّقَةٌ كأنَّ عِفاءها ** سِقْطانِ من كَنَفَيْ ظَلِيمٍ جافِلِ[1] .

وعَفَت الأرض : غطاها النبات ، والعفو من الماء : ما فضل عن شاربه وأُخِذَ بلا كلفة ولا مزاحمة ، وعفوا المال : ما فضل عن النفقة ، ويقال : عفا عليه في العلم ، إذا زاد عليه فيه على التشبيه والاستعارة [2]. وعلى هذا المعنى جاء قوله (تعالى) : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [3]، أي الفضل وما أتى بلا مسألة ولا كلفة ، والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقصِ عليهم فيستقصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء[4]،وهذا من روائع الانتقال بالمجاز في كلام العرب كقول الشاعر :

خُذِي العَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمي مَوَدَّتِي ** ولا تَنْطِقي في سَوْرَتِي حينَ أَغْضَبُ[5].

ومن معنى قصد الشيء وطلبه ، قولهم : عفا الرجلُ الرجلَ واعتفاه : قصده متناولاً ما عنده ، قال الخليل : " العَفْوُ : المعروفوالعافةُ : طُلاّبُ المعروف وهم المُعْتَفُونَ ،واعتَفَيتُ فُلاناً :طَلَبتُ مَعروفَه ، والعافيةُ

---

(١) البيت من البسيط وهو في العين ومقاييس اللغة [ع ف و] ، والأجد : الناقة الموثقة الخَلْق ، والسقطان : طرفي الجناحين ، والظليم : ذكر النعام وجافل : شارد نافر .

(٢) ينظر الصحاح وتاج العروس [ع ف و] .

(٣) الأعراف [١٩٩] .

(٤) ينظر زاد المسير٣/ ٣٠٨ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لأسماء بن خارجة الفزاري ، وقيل لعامر بن عمرو من بني البكاء ، في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٠/ ٣٧٧ والحماسة البصرية لأبي علي بن الفرج البصري ١٣٨/١ .

من الدَّوابِّ والطَّيْرِ :طُلاَّب الرزقِ اسمٌ لهم جامع وجاء في الحديث : "مَنْ غَرَسَ شجرةً فما أَكَلَتِ العافيةُ منها كُتِبَتْ له صَدَقةً "[1] . قال الأعشى :

يطُــوفُ عُــفــاةٌ بأبوابِــهِ ∴ كطَـوْفِ النَّصـارى بَيْـتِ الـوَثَن [2]

وقال الآخر في العافية :

لَعَــزَّ عَيْنــا ونِعْــمَ الفَتَــى ∴ مَصِيرُك يـا عَمْـرو والعافِيـهْ [3]

يعني إن قُتِلَ فصار أكلة للطير والضباع .

والعافي : الرائد أو الرواد ؛ لأن ذلك كله قصد وطلب ، يقال : ما أكثَرَ عافيـة هـذا المـاء ، أي واردتـه مـن أنـواع شـتى ، قـال أبـو محمـد الفقعسي :

فصَبَّحت بـُغْيـغاً تُـغابِيه

ذَا حَبِبٍ تَخْضَرُّ كفٌّ عافِيه[4] .

وإبل عافيـة : إذا وردت علـى كـلأٍ قد وطئتـه النـاس ، فـإذا رعتـه لـن ترض به فرفعت رءوسها عنه وطلبت غيره [5].

إذًا فدلالة العفو على الطلب دلالـة متفرعـة من معنـى الترك – أيضًا – ؛ لأن الزائد والفاضل عن الحاجة من متروك المال الذي يجود بـه مالكـه ، قال ابن فارس : " يقال: اعتفيتُ فلاناً، إذا طلبتُ معروفه وفَضْله. فإنْ

---

(١) العين [ع ف و] ، والحديث في النهاية لابن الأثير[غ ف ى] .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو في ديوانه ص٢٠٩ والزاهر لابن الأنباري ٣٧٢/١.

(٣) البيت من المتقارب ، وهو في المحكم واللسان [ع ف و] .

(٤) مـن الرجـز، وهمـا فـي الجـيم لأبـي عمـرو الشـيباني والمحكـم [ب غ ب غ] ، والبغيبغ : البئر القريبة المنزع الكثيرة الماء ، والحَبب : نفاخات الماء جمع حَبابة .

(٥) ينظر مقاييس اللغة والمحكم [ع ف و] .

كان المعروف هو الَعفو فالأصلان يرجعان إلى معنًى وهو الترك، وذلك أنّ الَعفو هو الذي يُسمح به ولا يُحتَجَن ولا يُمسَك عليه "[١].

فدلالة العفو على الطلب يعد المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل التطور والاستعمال في اللغة ، ومرجع الجميع إلى معنى الترك ، وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى لقول بعضهم : عفا يعفوا : إذا أعطى ، وإذا ترك حقًا ، وعفا : إذا كثر ، وإذا قلَّ ، على أنه من الأضداد ، وكذلك عفا : إذا ظهر ، وإذا خفي ، أو درس[٢] ، قال ابن فارس : " فهذا معنى العفو، وإليه يرجع كلُّ ما أشبهه. وقول القائل: عفا، درس، وعفا : كثُر –وهو من الأضداد– ليس بشيء ، إنّما المعنى ما ذكرناه، فإذا تُرِك ولم يُتعهَّد حتّى خَفِي على مَرّ الدهر فقد عفا ، وإذا تُرِك فلم يُقطَع ولم يُجَزَّ فقد عفا ، والأصل فيه كلِّه التَّرك ..."[٣] .

دلالة اللفظ في التفسير :

اختلف أهل التفسير في معنى العفو من هذه الآية ، فقال عبد الله بن عمرو ومحمد بن كعب وقتادة وغيرهم : هو ما فضل من المال عن العيال ، وهي رواية مقسم عن ابن عباس .

وعن الحسن : هو ألا تجهد مالك في النفقة ثم تقعد تسأل الناس [٤].

---

(١) مقاييس اللغة [ع ف و] ، ويحتجن من قولهم : احتجن المال ، إذا خصه لنفسه واستبد به .

(٢) ينظر جمهرة اللغة ٢/ ٢٦ وتاج العروس [ع ف و] .

(٣) مقاييس اللغة [ع ف و] .

(٤) ينظر جامع البيان ٣٣٧/٤ والكشف والبيان ١٥٢/٢ .

وقال مجاهد: التصدق عن ظهر غنى ، وذلك أن يتصدق وهو غني ولا يتصدق وهو فقير ؛ فيبقى كلاً على الناس ، وهو معنى قول الرسول (ﷺ) : (خَيْرِ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى) [1].

وعن عمرو بن دينار العفو : الوسط من النفقة ، ما لم يكن إسرافًا ولا إقتارًا .

وقال طاووس العفو : اليسير من كل شيء [2].

وهذه الأقوال – على تعددها – لم تخرج عما ذكره ابن اليزيدي، وهي مأخوذة من العفو بمعنى الزيادة والفضل في اللغة ؛ لأن الفضل مما لا يتكلفه المال ولا يشق على النفس إنفاقه ، فهو مما يتيسر– في الغالب – بذله [3].

قال ابن عطية (تـ ٥٤٢هـ) : " العفو : ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه وماله ونحو هذا هي عبارة المفسرين ، وهو مأخوذ من عفا الشيء : إذا كثر ، فالمعنى : أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة "[4] .

ويلحظ من خلال الربط بين الدلالتين التفسيرية واللغوية أن العفو جاء في هذه الآية على معنى الزيادة دون معنى الترك أو القصد وهذا يعد تخصيصًا وإفرادًا لمعنى اللفظ في سياق الآية ، كما يلحظ أن هذا المعنى تفرع من معنى الترك عن طريق التطور وكثرة الاستعمال .

---

(١) رواه أبو هريرة ، وهو في صحيح البخاري ٥١٨/٢ والسنن الصغرى للنسائي ٦٦/٥ .

(٢) ينظر جامع البيان ٣٣٧/٤ والكشف والبيان ١٥٢/٢وتفسير القرآن للسمعاني ٢٢٠/١ .

(٣) ينظر تفسير الفخر الرازي ١/ ٨٩٩ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٨١/١ .

المبحث السادس

دلالة التعميم

أو التعميم الدلالي ، هو مظهر آخر من مظاهر التطور الدلالي يسير عكس اتجاه التخصيص ، فهو يعني : تحويل الدلالة من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي ، و به تصبح الكلمة تدل على عدد من المعاني ، أكثر مما كانت تدل عليه من قبل ، أو تدل على معنى أعم من معناها الأول [١]. أو هي : أن يستعمل اللفظ في معنى أعم وأوسع من معناه القديم .

ويحدث ذلك عندما تستعمل الكلمة الدالة على فرد أو على نوع خاص من أفراد الجنس أو أنواعه للدلالة على أفراد كثيرين ، أو على الجنس كله [٢] .

ومن أمثلة تلك الدلالة في اللغة : لفظ " الورطة " بمعنى الهلاك أو الشدة ، وأصل معناها : الوحل تقع فيه الغنم فلا تقدر على التخلص ، ثم استخدمت في كل شدة [٣].

ومنها لفظ " العقيلة " في الأصل : هي المرأة الكريمة النفيسة ، ثم استعملت في الكريم من كل شيء من الذوات والمعاني ، فاستخدم في

---

(١) ينظر علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص ٧٦.

(٢) ينظر لحن العامة د/ عبد العزيز مطر ص ٢٨٢ وفي الدلالة اللغوية ص ١١٤

(٣) ينظر المصباح المنير [و ر ط] .

عقائل الكلام ، وأطلق على الكرائم من الإبل ، وعلى درر البحر وكرائم مال الإنسان[١] .

ومن أمثلة ما عُمِّمت دلالته من ألفاظ القرآن الكريم في ضوء تفسير ابن اليزيدى ما يلي :

أ – الزخرف :

في قول الله (تعالى): ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [٢]. قال أبو عبد الرحمن : " كل شيء حسنته وهو باطل ، فهو زخرف " .

فظاهر كلام المفسر أن لفظ الزخرف يفيد في اللغة التعميم .

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

قال الجوهري " الزُّخْرفُ : الذَّهَبُ ثُمَّ يُشَبَّه به كلُّ مُوَّهٍ مزوَّر . والمُزَخْرَف : المزيَّن . وزَخارِفُ الماء طرائقُه " [٣].

وقال ابن سيده : " الزُخرف – بالضم – الذهب ... هذا هو الأصل ، ثم سُمِّي كل زينة زُخرفًا ، شُبه كل مموه مُزور به " [٤].

فمن هذين القولين يتبين أن الزخرف استعمل اسمًا للذهب خاصة بحسب الوضع الأصلي له في اللغة ، ثم عُممت دلالته عن طريق التطور

---

(١) ينظر للسان [ع ق ل] .
(٢) الأنعام [١١٣] .
(٣) الصحاح [ز خ ر ف] .
(٤) المحكم وتاج العروس [ز خ ر ف]

بالنقل أو المجاز حتى صار يطلق على كل مزين مموه ؛ لعلاقة المشابهة لأن الذهب ينقش ويتخذ للزينة .

فمن استعمال الزخرف في الذهب خاصة قوله (تعالى) : ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ ﴾ . قال مجاهد : كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأينا في قراءة عبد الله : (أو يكون لك بيت من ذهب)[1] . وفي الحديث : " إنه (ﷺ) لم يَدْخُل الكَعْبة حتى أُمِرَ بالزُّخْرُف فذُحِّيَ ، هو ذُقُوشٌ وتَصاوِيرُ بالذهب كانت زُيِّنَت بها الكَعْبة أمِرَ بها فحُكَّت "[2]. ومن استعمال الزخرف في مطلق الزينة ، وهي دلالة التعميم قولهم لزينة النبات : زخرف ، وهو ألوان نباتها وزهورها من بين أحمر وأصفر وأبيض [3]، وعليه جاء قوله (تعالى): ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾ [4].

والزخارف : تكسر الماء إذا جرى قال أوس بن حجر :

تَذَكَّرِ عَيْنًا مِنْ غُمازَةَ مَاؤُهَا ∴ ءُ حَبٌّ سَتَنٌّ فِيهِ الزَّخَارِفُ [5]

وزخرفت البيت ، إذا نجدته وزينته بالنقوش والتصاوير، قال العجاج:

يا صَاحِ مَا هَاجَ يُونَ التُّرَّفا ∴ مِنْ لَلَلٍ أَمْسَى خَالُ الصُّحْفَا

سُدُومُه والمُذْهَبَ المُزَخْرَفَا[6] .

---

(١) تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ١٠١/٤ ومعاني القرآن للنحاس ١٩٥/٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير [ز خ ر ف] .

(٣) ينظر تهذيب اللغة والمحكم وتاج العروس [ز خ ر ف] .

(٤) يونس [٢٤] .

(٥) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص٦٩ وجمهرة اللغة ١٤٧/٢، وغمازة : عين ماء لبني تميم .

(٦) الأبيات من الرجز ، وهو في ديوانه٣٨٦ والعباب للصاغاني [ز خ ر ف] .

ويلحظ أن التعميم فيما سبق من أمثلة جاء من الانتقال من المحس إلى محس مثله ، ومن الانتقال من المحس إلى المعنوي قولهم : زخرفتُ الكلاَم ، إذا ألّفته وحَسَّنْهُ بترقيش الكذب .[1] وعلى هذا المعنى جاء قوله (تعالى):﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ ، أي : تزيين الباطل بالألسنة وهو المأثور عن عكرمة والسدي ومجاهد ، وقال ابن عباس : حسن بعضهم لبعض القول ؛ ليتبعوهم في فتنتهم ،كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه له لمن الناصحين [2].

ب – الغَوْل :

قال المفسر في صفة خمر الجنة من قول الله(تعالى) : ﴿ لا فِيهَا غَوْلٌ وَلاهُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾[3] : " لا تغتالُ عقولَهم ولا تغولهم بما يكرهون ، وقال المفسرون : لا تشتكي بطونهم " [4].

فهو يذكر للغَوْل معنيين ، وينسب أحدهما إلى المفسرين ، دون ذكر العلاقة أو الصلة الدلالية بينهما ، وما نسبه إلى المفسرين هو المأثور عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن زيد [5].

---

(١) ينظر جمهرة اللغة ١٤٧/٢ وتهذيب اللغة [ز خ ر ف] .

(٢) ينظر تفسير مجاهد ٢٢١/٢ وجامع البيان ٥٥/١٢ .

(٣) الصافات [٤٧] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ١٥٠ .

(٥) ينظر تفسير مجاهد ٥٤١/٢ وتفسير سفيان الثوري ص٢٥٢ وجامع البيان ٣٩/٢١ .

دلالة للفظ في اللغة :

الغَوْل : فساد يلحق في خفاء ، يقال غال الشيءُ فلانًا يَغُوله غَوْلاً واغتاله اغتيالاً ، إذا أفسد عليه أمره في خُفية ، أو دبَّ في هلاكه وأخذه من حيث لم يَدْرِ ، ومنه الغُول والغِيلة ، وهو القتل في خُفية من حيث لا يعلم المقتول ولا يشعر [1]، قال الشمردل بن شريك اليربوعي :

فأصبح بيتُ الهجرِ قد حالَدونَهُ ∴ وغال امرءاً ما كانَ تُخشَى غوائلُه[2]

أي أوصل إليه الشّرَّ أو القتل من حيث لا يعلم فيستعد .

ثم عُممت دلالة الغَوْل وما اشتق منه بفعل التطور التاريخي وكثرة الاستعمال ، فأصبح يطلق على كل شيء اغتالهشيءٌ ، فذهب به وأهلكه ، من ذلك الغَوْل بُعْد المفازة [الصحراء] ، يقال : أرض ذات غَوْل ، وما أبعد غَوْل هذه الأرض ، وإنها لبعيدة الغَوْل ، أي : بعيدة لا ينقطع السير فيها، وإن كانت في مرأى العين قريبة ، وإنما سُمِّي بُعْد الأرض غَوْلاً ؛ لأنه يغتال من يمرّ به أي : يضلله فيذهب به ويهلكه ، مأخوذ من قول العرب : قد تغولت الأرض بفلان : يعني ضللته فأهلكته و قد غالتهم تلك الأرض ، إذا هلكوا ، واغتالتهم مثله [3]، قال ذو الرمة :

---

(١) ينظر العين [غ و ل] وجمهرة اللغة ٢/ ٤١ والزاهر لابن الأنباري ٢٣٣/٢ وتهذيب اللغة [غ و ل] .

(٢) من الطويل وهو في الأمالي لليزيدي ص ٨ والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٣٨٠/١٣ .

(٣) ينظر تهذيب اللغة والصحاح وتاج العروس [غ و ل] .

وُربَّ مَفــازَةٍ قَــذَفٍ جُمــوحٍ ∴ تَغُولُ مُنَحِّبَ القَرَبِ اغْتِيالا [1]

أو سمي بُعد الأرض غَوْلاً ؛ لأنها تغتال المشي فلا يستبين فيها سَيْر القوم من بُعدها وسعتها ، فيكون البعد سببًا في المشقة التي تُفضي إلى هلاك من يسير فيها [2]، وعليه جاء قول العجاج :

وَبْلَدَةٍ بَعيدَةِ النِّيَاطِ

مَجْهولَةٍ تَغْتَالُ خَطْوَ الخَاطِي[3].

والغُول – بضم الغين – المَنِيَّة ، قال الأعشى :

فَما بِتَةٌ إن متُّها غيرَ عاجز ∴ بعارٍ إذا ما غَالت النّفسَ غُولُها [4]

والغضب غُول الحلم ، لأنه يُهلكه ويذهب به ، يقال : أيَّةُ غُولٍ أَغْوَلُ من الغضب !.والغوائل : خروق في الحوض ، واحدتها غائلة ، سُمِّيت بذلك ؛ لأنها تُذهب الماء وتدب في نفاده وهلاكه[5]، قال الفرزدق:

---

(١) البيت من الوافر، وهو في ديوانه ص١٥٩ وتهذيب اللغة[غ و ل] ، وقذف : بعيدة ، وتغول : تغتال ، والمنحب : المجد في السير ، والقرب : سُوى الليل لِوِرْد الغد ، والجموح : السريع .

(٢) ينظر تهذيب اللغة [غ و ل] .

(٣) البيتان من الرجز في ديوانه ص ٢٠٤ وتهذيب اللغة [غ و ل] ، ونياط المفازة : بعد طريقها .

(٤)البيت من الطويل ، وهو للأعشى في ديوانه ص١٣٦ والعين [غ و ل] ، وغول النفس : ما يغتالها .

(٥) ينظر العين وتهذيب اللغة والمحكم [غ و ل] .

يـا قـيسُ إنَّكُم وَجَدْتُم حَوْضَكُم ∴ غـالَ القِـرى بُمـثَلَّمٍ مَفجـورِ
ذَهَبـتْ وائلُـهُ بمـا فَرَغْتُـم ∴ برِشـاءِ ضَـيِّقَةِ الفُـروغِ قَصـيرِ[1]

والغُـول :ساحرة الجن والجمع غِيلان ، وقيل الغُـول : الذكر من الجن والأنثى منه سعلاة ، سميت غُـول ؛ لأنها تتغول في الفلوات وتتراءى للناس وتتلوَّن لهم ألوانًا فتضلهم عن الطريق وتُهلكهم ، أو تفتك بهم وتوصل الشرَّ إليهم[2] ، قال الشاعر :

هِـيَ لغُـولُ والسِّـلاةُ حَلْقَـي مِنْهمـا ∴ مُخَدَّشُ مـا بَيْنَ التَّراقـي مُكَدَّحُ [3]

والغُول : الحيَّة ، وجمعها أغوال ، قال امرؤ القيس :

يَقْتُلُنـي والمَشْـرَفِيُّ مُضـاجِعي ∴ ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأَنيـابِ أَغـوالِ ؟[4]

أراد : كأنياب الحيات ، وإنما سميت الحية غُولاً ؛ لأن سُمَّها يدبّ في هلاك اللديغ ويقتله .ومن معنى الهلاك وذهاب الشيء قيل للصداع

---

(١) البيتان من الكامل ، ولم أجدهما في ديوانه ، وهما في والمحكم [غ و ل] ، وغوائل الحوض : ما انخرق منه وانثقب ، فأذهب الماء ، والقِري : جبي الماء في الحوض .

(٢) ينظر الزاهر لابن الأنباري ٢/٢٣٣ وتهذيب اللغة والمحكم [غ و ل] .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لجران العود ولم أجده في ديوانه وهو في الزاهر لابن الأنباري ٢/٢٢٣وتهذيب اللغة [س ع ل]، ومكدح : مخدش ، وتكدح الجلد : تخدش .

(٤) البيت من الطويل وهو في ديوانه ص١٣٧ وجمهرة اللغة ٢/٤١، والمشرفي : السيف ، ومسنونة زرق : نصال الرماح .

والسُّكْر غَول – بالفتح – لأنهما من غوائل النفس وأسباب هلاكها ، ولأن السكر يذهب بالعقل [1]، قال الشاعر في الغَول بمعنى السكر:

وَمــا زَالــتِ الكــأسُ غْتَالُنــا ∴ وتَــــذْهَبُ بِـــــالأَوَّلِ الأَوَّلِ [2]

دلالة اللفظ في التفسير :

قد فُسِّرَ الغَول في هذه الآية بتفسيرات عدة لا تخرج عن المعنى اللغوي العام ، وهو مطلق الهلاك والأذى . فقد روي عن الحسن : (لا غول فيها) أي : ليس في خمر الجنة صداع ، استنادًا إلى قوله (تعالى) : ﴿ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ﴾ [3]. وقال الكلبي : الغَول الإثم ، ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ ﴾ [4]. وقال بعضهم : ليس فيها أذىً فتشتكي منه بطونهم ، وهو المروي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد – كما تقدم – . وقيل : لا تغتال الخمر عقولهم فتذهب بها ، وهو المروي عن الشعبي والسدي . وقيل :ليس فيها أذىً ولا مكروه ، وهو قول سعيد بن جبير [1].

وكل هذه الأقوال لا تخرج في مجملها عن معنى ذهاب الشيء وهلاكه . قال ابن جرير الطبري في الرجوع بها إلى المعنى اللغوي العام : " ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغَوْل في كلام العرب: هو

---

(١) ينظر تهذيب اللغة والمحكم [غ و ل] .

(٢) البيت من المتقارب ، وهو في الزاهر لابن الأنباري ٢٢٣/٢ والمخصص لابن سيده ٥/ ١٣٣ .

(٣) الواقعة [١٩] .

(٤) الطور [٢٣] .

(١) ينظر جامع البيان ٣٧/٢١ والكشف والبيان ١٤٤/٨ والجامع لأحكام القرآن ٧٩/١٥ .

ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل ، فقالوا: غالت فلانا غول ، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غُول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله (تعالى ذكره) قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوْل ، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال (جل ثناؤه) : ﴿ لا فِيها غَوْلٌ ﴾ ، فيعم بنفي كل معاني الغَوْل عنه ، وأعم ذلك أن يقال : لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل ، ولا غير ذلك " [1].

---

(١) جامع البيان ٣٧/٢١ .

المبحث السابع

الدلالة التضمنية

تقدم التعريف بالدلالة اللفظية الوضعية ، وهي : كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه .

وأود الإشارة – هنا – إلى أن هذه الدلالة تنقسم إلى : دلالة المطابقة ، ودلالة التضمن ودلالة الالتزام .

لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة ، وقد سبق الحديث عنها في الدلالة الوضعية ، وعلى جزئه بالتضمن ، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام [١].

إذًا فالدلالة التضمنية هي : دلالة اللفظ على جزء ما وضع له[٢]، أو كما يعرفها بعض علماء اللغة المحدثين بقوله : " هي المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص "[١]. ويسمى بالمعنى الإضافي أو العرضي أو الثانوي ، وهذا النوع من المعنى – وإن كان جزءًا من المعنى الأصلي أو الأساسي إلا أنه – ليس له صفة الثبوت ، وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة [٢].

---

(١) ينظر التعريفات للشريف الجرجاني ١/١٤٠ .

(٢) ينظر السائل شرح بغية الآمل للأمير الصنعاني ١/٢٣١ والمعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة د/ محمد حسن حسن جبل ص١٧٣.

(١) علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ٣٧

(٢) المرجع السابق نفسه .

ومن أمثلة المعنى التضمني قوله (تعالى) : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [1]، فإن مثل هذا لم يقصد به الأمر ، وإنما هو مبالغة في التهديد أو الخزي ، أي : لم يقصد به المعنى الأصلي ، وهو طلب الفعل ، بل المقصود هو التهديد وهو المعنى التضمني أو الثانوي ، وإن كان المعنى الأصلي هو المقوّ ي له ؛ لكون المعنى التضمني جزءًا منه [2].

ومن أمثلة الدلالة التضمنية في غريب القرآن وتفسيره ما يلي:

أ- رفث :

كما في قوله (تعالى): ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [3]،

قال ابن اليزيدي : " فلا رفث : فلا لغو من الكلام ، واللغو واللغا التكلم بما لا ينبغي ،وقال المفسرون:هو الجماع في هذا الموضع" [4].

فهو يذكر لكلمة الرفث معنيين ، أحدهما :المعنى اللغوي ، وهو اللغو المراد به في كلام العرب الفحش والمأثم والشتم [1]، والثاني :المعنى التفسيري لهذه الآية ، ولعله يرى بين المعنيين صلة أو علاقة دلالية ؛ لقوله : وهو الجماع في هذا الموضع " .

---

(١) الدخان [٤٩] .

(٢) ينظر الموافقات للشاطبي ١٥٧/٢ .

(٣) البقرة [١٩٧] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٣٤ .

(١) ينظر الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٦٧ .

وما أورده من أن الرفث بمعنى الجماع هو المأثور عن ابن عباس (ﷺ) وقتادة وعكرمة والحسن والضحاك وعطاء بن رباح وغيرهم[1] .

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

أصل الرفث في اللغة : الفحش والتكلم بالقبح ، تقول العرب : رَفَث فلان في كلامه ورَفِث يَرْفُثُ ، وأرفث : أفحش وأفصح بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح[2] ، قال العجاج :

وُربَّ أَسرابِ حَجيجٍ كُظَّمِ

عن اللَّغَا ورَفَثِ التَكَلُّم [3].

وعلى هذا المعنى جاء قوله (ﷺ) :(الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، إِذَا كَانَ أَحَدُكُم صَائِمًافَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْشَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ) [4].

قال يحيى بن شرف النووي : " نهى الصائم عن الرفث وهو السخف وفاحش الكلام "[1] ، ويدل لهذا المعنى السياق اللغوي للحديث الشريف ، وهو ذكر القتال والمشاتمة .

---

(١) ينظر تفسير مجاهد ٩٦/١ ، ١٠٢ وتفسير مقاتل بن سليمان ١٠٤/١ وجامع البيان ١٣١/٤ والجامع لأحكم القرآن للقرطبي٤٠٧/٢ .

(٢) ينظر تهذيب اللغة وأساس البلاغة [ر ف ث] .

(٣) البيتان من الرجز وهما في ديوانه ص٢٣٨ والصحاح [ر ف ث]، وكظَّم : ساكتون .

(٤) صحيح البخاري ٦٧٠/٢ وسنن أبي داود ٢٨٠/٢ .

(١) شرحه على صحيح مسلم ٢٨/٨ .

ثم كثر استعمال الرفث فيما يتكلم به عند النساء من معاني الإفضاء ، حتى صار كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من أهله، قولاً كان أو فعلاً ، وأصله الفحش والسَّبّ بالقبيح من القول [1]، فمن الرفث في القول ما أنشده ابن عباس وهو محرم :

وهُنَّ يَمْشِينَ بنا هَمِيساً
إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ تَنِكْ لَمِيسا [2].

فقيل له : أترفث وأنت محرم ؟ فقال : إنما الرفث ما روجع به النساء ، يعني ما خوطبن به [3]، ومن الرفث فعلاً : الغمز باليد أو العين مواعدة للجماع ، وكذلك التقبيل ، وغير ذلك من دواعي الجماع[4] ، ثم جعل الرفث كناية عن الجماع نفسه ؛ لأن الجماع لا يكاد يخلو من التصريح بما يجب أن يكنى عنه من الألفاظ الفاحشة [5]، حتى صارت دلالة الرفث على الجماع حقيقة متعارف عليها في بعض المجتمعات العربية ، وهي قبيلة مذحج [1].

وعلى تلك الدلالة العرفية جاء قول الله (تعالى) : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُم ﴾ [2]، ولذلك عُدِّي الرفث بـ (إلى) لتضمنه

---

(١) تهذيب اللغة [ر ف ث] وتفسير روح البيان لإسماعيل حقي ٢٤٤/١.

(٢) البيتان من الرجز ، وهما في جمهرة اللغة ٢٠٣/١ وتهذيب اللغة [ر ف ث] ، وقوله : وهن أي : الإبل ، وهميسًا : أي لينًا ، ولميس : اسم امرأة .

(٣) ينظر جمهرة اللغة٢٠٣/١ وغرائب القرآن للنيسابوري٥١٢/١ .

(٤) ينظر أحكام القرآن للكيا الهراسي٨٧/١وأساس البلاغة [ر ف ث] وروح البيان ٢٤٤/١ .

(٥) ينظر تهذيب اللغة وأساس البلاغة [ر ف ث] وروح البيان ٢٤٤/١ .

(١) ينظر غريب القرآن المنسوب لابن عباس ٤٠.

(٢) البقرة من الآية [١٨٧] .

معنى الإفضاء الذي يراد به الملابسة في قوله (تعالى) : ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْإِلَى بَعْضٍ ﴾[1]. ولو كان المراد من الرفث فحش القول ، لقيل : أحل لكم الرفث بنسائكم أو مع نسائكم[2] .

فمن هذا العرض يتبين أن [ر ف ث] أصلٌ يدل في اللغة على الفاحش من القول وعلى ما يُريده الرجل من امرأته وعلى الجماع المستفاد من الدلالة العرفية عند العرب .

إذًا فدلالة الرفث على الجماع عند المفسرين في قوله : ﴿فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ ﴾ دلالة تضمينية ؛ لأنها جزء من مدلول الرفث في اللغة ؛ ولأن مجيء لفظ "الرفث" في سياق النهي يفيد العموم ، قال أبو بكر بن الجصاص : (ت ٣٧٠) هـ : " قد قيل : إن أصل الرفث في اللغة هو الإفحاش في القول ، وبالفرج الجماع ، وباليد الغمز للجماع ، وإذا كان كذلك فقد تضمن نهيه عن الرفث في الحج هذه الوجوه كلها ... ؛ لأن حظر القليل يدل على الكثير من جنسه ، وإباحة الكثير تدل على إباحة القليل من جنسه ... وقد اتفقت الأمة على أن من قبل امرأته في إحرامه بشهوة فعليه دم ، وروي ذلك عن علي وابن عباس وابن عمر والحسن وعطاء وعكرمة ... وهو قول فقهاء الأمصار ..." [1].

---

(١) النساء من الآية [٢١] .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣١٦/٢ والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٧٦/٣.

(١) أحكام القرآن له ٣٨٣/١ .

ب – اليأس :

من الدلالة التضمنية لفظ اليأس ، في قوله (تعالى) : ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [١]، قال أبو عبد الرحمن : " أفلم ييأس : يعلم في التفسير "[٢].

فهو يكتفي بدلالة لفظ " يأس " في التفسير ، ولم يتعرض لدلالته في اللغة ، وتفسير اليأس بمعنى العلم – هنا – هو المروي عن علي وابن عباس وقتادة [٣] ، وتؤيده قراءة (أفلم يتبين الذين آمنوا)[٤].

دلالة اللفظ في اللغة :

اليأس في كلام العرب : القنوط وضد الرجاء ، أو هو قطع الأمل عن الشيء يقولون : قد يَئِس فلان من كذا يْيأس : إذا انقطع رجاؤه في حصوله ، واستيأس مثله . وأيأسته: قنّطته ، وإنه لياِئسٌ وَيِئْسٌ ويؤوسٌ ، والجمع يـُئـُوس [١]، قال طرفة :

وأُيأَسَنِي من كُلِّ خَيرٍ طَلَبْتُه ∴ كأنّا وضَعْفَاه إلى رَمْسِ مُلْحَدِ [٢]

---

(١) الرعد من الآية [٣١] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٨٩ .

(٣) ينظر جامع البيان ٤٥٠/١٦.

(٤) من القراءات الشواذ ، وهي قراءة علي وابن عباس وابن أبي مليكة وعكرمة وعاصم الجحدري وغيرهم ، كما في المحتسب لابن جني ٣٥٧/١ واللباب في علوم الكتاب ٣٠٦/١١ .

(١) ينظر المحكم والمحيط الأعظم والعباب للصاغاني وتاج العروس [ي أ س] .

(٢) البيت من الطويل وهو في ديوانه ص ٨ وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ١١١ ، والرمس : القبر ، وألحدت الرجل : جعلت له لحدًا .

وقال لبيد :

حتى إذا يَئِسَ الرُّماةُ وأَرسَلوا ∴ غُضْفاً نَواجِنَ قافِلاً أَعْصَامُها [1]

هذه هي الدلالة الأصلية الحقيقية للفظ " يأس " في اللغة ، وعليها جاء قوله (تعالى) : ﴿ لا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [2]، أي : يؤوس من الفرج وتبدل الحال من عسر إلى يسر ، قنوط : ظاهر عليه آثار اليأس في منطقه وفي حاله كله [3].

وقد يتضمن اليأس معنى العلم في بعض الاستعمالات اللغوية ؛ وذلك لما بينهما من تقارب في الدلالة ؛ لأن اليأس مسبب عن العلم ، والميئوس عنه لا يكون إلا معلومًا ، ولأن مع الطمع القلق ومع انقطاعه السكون والطمأنينة كما مع العلم [4]، قال الزمخشري : " إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه ؛ لأنّ اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون ،كما استعمل الرجاء في معنى الخوف ،والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك " [1].

---

(١) البيت من الكامل وهو في ديوانه ص١١٢ وشرح المعلقات السبع للزوزني ص١٩٠، والغضف:الكلاب المسترخية الآذان ، والقفول : اليبس ، وأعصامها : سواجرها وهي الأطواق في رقابها .

(٢) فصلت [٤٩] .

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ٥٨٩/٤ .

(٤) ينظر أساس البلاغة [يأس]. والبحر المديد ٤٤١/٣ .

(١) الكشاف ٤٩٩/٢ .

وقد أصبحت هذه الدلالة معروفة في بعض اللهجات العربية ، كلهجة هوازن ، وحي من النخع يقال له : وهبيل [١]، وعليها جاء قول سحيم بن وثيل الرياحي :

أَقُولُ لَهُم بالشِّعْبِ إِذ يَيْسِرُونَني ∴ أَلَم تَيْأَسُوا أَني ابْنُ فارِسِ زَهْدَم ؟[٢]

أي : ألم تعلموا ، وأنشدوا في ذلك أيضًا :

أَلَم يَيأسِ الأَقْوامُ أَنّي أَنَابنهُ ∴ وإن كُنْتُ عن أَرضِ الَعشِيرةِ نَائِيا[٣]

دلالة اللفظ في التفسير :

على الدلالة التضمنية في اللغة جاء تفسير اليأس في قوله (تعالى) ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾ الآية .

والمعني : أفلم يعلم ويتبين الذين آمنوا أن الهداية بيد الله ومشيئته ، فلو شاء لهدى الناس جميعًا [١]. قال الراغب الأصفهاني : " ولم يرد أن اليأس موضوع في كلامهم للعلم ، وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك ؛ فإذًا ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت حصول علمهم "[٢].

---

(١) ينظر جامع البيان ١٦/٤٥٠ والمحتسب ١/٣٥٧ وأساس البلاغة [ي أ س].

(٢) البيت من الطويل،وهو في تهذيب اللغة ومقاييس اللغة[ي أ س]، وزهدم : اسم فرس .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لرباح بن عدي ، في العين [ي أ س] والجامع لأحكام القرآن ٩/٣٢٠ .

(١) البحر المديد ٣/٤٤١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٥٥٢ .

المبحث الثامن

دلالة الالتزام

وهي القسم الثالث من أقسام الدلالة اللفظية الوضعية ، ويقال لها – أيضًا المعنى اللزومي [١]،

وهي : دلالة اللفظ على معنى آخر خارج عن معناه لازم له عقلاً أو عرفًا [٢] ، أو هي : ما دلَّ عليه اللفظ لا بصريح صيغته ووضعه [٣].

ومعنى التعريف : أن يكون اللفظ له معنى وذلك المعنى له لازم من الخارج ، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه ولو قُدِّر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوما [٤] .

ومن أمثلة تلك الدلالة قول القائل : لزمت البيت أو الشجرة ، أي : ظلهما اللازم لهما ، وعشت بالحديقة ، أي : بثمرها اللازم لها كما يدخل فيها استعمال بَرَدَ فلان بمعنى مات – فالبرودة لازمة للموت ، ويدخل فيها كذلك استعمال صرعه بمعنى قتله ، وإنما أصل الصرْع الطرح على الأرض ، كما يدخل في دائرة اللزوم هذه :الكناية والتعريض والاستعارة بالكناية وغير ذلك مما سماه الشيخ عبد القاهر الجرجاني معنى المعنى [١]، حيث يقول : " ... وكذلك تعلُم في قولِه : بلغني أنك تقدِّمرجلاً وتؤخر

---

(١) المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة د/ محمد حسن جبل ص١٧٤.

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه د/ عبد الجليل منقور ص ٥٩.

(٣) أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله د/ عياض بن نامي السلمي ص ٢٥٧ .

(٤) الإحكام في أصول الأحكام ٣٦/١ .

(١) ينظر المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة ص ١٧٤.

أخرى أنه أراد التردُّدَ في أمرِ البيعة ، واختلافِ العزمِ في الفعلِ وتركِه ... وإذ قد عرفتَ هذه الجملةَ فها هنا عبارةٌ مختصرةٌ ، وهي أن تقولَ المعنى ومعنى المعنى ، تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تصِلُ إليه بغيرِ واسِطَة وبمعنى المعنى أن تعقِلَ من اللفظِ معنًى ثمَّ يُفْضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخَرَ كالذي فسَّرتُ لك " (١).

ومما جاء من دلالة الالتزام في غريب القرآن وتفسيره ما يأتي:

أ – الخُطْوة :

كما في قوله (تعالى) : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢).

قال ابن اليزيدي : " قالوا : خطأه ، وكل معصية فهي من خطوات الشيطان في التفسير " (٣).

فقد بين معنى كلمة " خطوات " في التفسير ، ولم يذكر معناها في اللغة . وإن كان المسوغ لتفسير خطوات الشيطان بالمعصية أو الخطأ ، هو أنهما ناتجان من إتباع الشيطان فيما يأمر به أو يدعو إليه .

دلالة اللفظ في اللغة :

الخَطْو : المشي ، يقال : خَطَوْتُ أَخْطُو خَطْوًا ، واختطيت : مشيت والخُطوة – بضم الخاء – ما بين القدمين، أي : مسافة ما بينهما في المشي ، وجمع القِلة : خُطُوات وخُطَوات وخُطْوات ، والكثير : خُطًى. والخَطْوة – بالفتح – المرَّة الواحدة ، والجمع : خَطَوات – بالتحريك –

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٠٣/١ .

(٢) البقرة من الآية [١٦٨] .

(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٣٣ .

وخِطاء ، مثل ركوة وركاء [١]، وقيل : فتح الخاء وضمها لغتان ، الفتح لتميم والضم للغة المشتركة[٢] . قال امرؤ القيس في جمع الخطوة على خِطاء :

لَهـا وثَبـاتٌ كَوثْـبِ لظِّبـاءِ ∴ فَـوادٍ طـاءٌ ووادٍ مَطِـرْ [٣]

وقال – أيضًا في المفرد :

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى إِذْ نَأَتْكَ نُـوصُ ∴ فتَقْصُرُ عَنْها خُطْوَةً بُـوصُ [٤]

وقال حسان في اسم المرة من الخطو :

فتـًى مـا تَخطّـى خَطْـوةً لدنّيـةٍ ∴ ولا مـدّ فـي يـومٍ إلـى سَوْءةٍ يـداً [٥]

وقال جرير في الخطو وهو المصدر :

تُثير الكـلابَ آخـرَ للَّيـلِ وَطـؤُه ∴ كضَبِّ العَرادِ خَطْوُه متقـارِبُ [١]

---

(١) ينظر الصحاح ، والمحكم و المحيط الأعظم ، والمصباح المنير [خ ط و] .

(٢) ينظر المحكم [خ ط و] ولغة تميم د/ ضاحي عبد الباقي ص٢٤٥ .

(٣) البيت من المتقارب ، وهو في ديوانه ص ١٠٨ والصحاح [خ ط و] ، وقوله : وواد مطر : أي تعدو عدوًا يشبه المطر في السرعة والكثرة .

(٤) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص١١٧ وتهذيب اللغة [ن ا ص]، وقوله : نأتك أي : هجرتك ، و تنوص : تذهب بعيدًا ، وتبوص : تتقدم .

(٥) البت من الطويل ، ولم أجده في ديوانه ، ولعله لشاعر من الأنصار غيره ، وهو في بهجة المجالس لابن عبد البر ص ١٣١و الازدهار فيما عدوه الشعراء من الأحاديث والآثار للسيوطي ص ٢ ، والسوءة : العورة .

(١) من الطويل ، وهو في ديوانه ص٢٥٩/٢ والحيوان للجاحظ ٣٨٨/١، و العراد : نبت يأكله الضب .

هذه هي الدلالة الأصلية للكلمة في اللغة ، وعليها جاء قول النبي (ﷺ) في فضل صلاة الجماعة : (لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ) [1].

ثم إن الكلمة كثر استعمالها في كلام العرب في لازم هذا المعنى أو فيما يسمى بـ " معنى المعنى " ، من ذلك قولهم في الكناية عن الجبن والخِسَّة :فلان لا يتخطى الطُّنُب ، أي : لا يبعد عن البيت للتغوط جبنًا أولؤمًا وقذرًا [2]. وفي معنى القوة يقولون : ناقتك هذه من المتخطيات الجيف ، أي : ناقة قوية جَلْدة تمضي وتُخَلِّف التي قد سقطت . ويقال في الدعاء : قَرَّب الله عليك الخُطْوة ، فانصرف إلى أهلك راشدًا ، أي : المسافة . وبين القولين خُطًى يسيرة ، إذا كانا متقاربين [3].

دلالة اللفظ في التفسير :

تعددت الأقوال المأثورة عن الأئمة المفسرين في بيان معنى " خطوات " في هذه الآية الكريمة ، فعن ابن عباس من رواية أبي طلحة : " خطوات الشيطان ":أعماله ،وعنه – أيضًا – من رواية عطاء : زلاته وشهواته [1].

وعن مجاهد وقتادة والضحاك :خطاياه التي يأمر بها ، قال قتادة : كل معصية لله فهي من خُطُوات الشيطان .

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٢/١ وسنن أبي داود ٢١٩/١ من رواية أبي هريرة .

(٢) المحكم [خ ط و] ، والطنب : حبل يشد به الخباء والسرادق ، وقيل : وتد والجمع أطناب .

(٣) ينظر تهذيب اللغة [خ ط ا] ، وأساس البلاغة [خ ط و] .

(١) ينظر جامع البيان ٣٠٠/٣ والكشف والبيان ٣٨/٢ والجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٢ .

وعن السدي : خطوات الشيطان : طاعته . وعن أبي مجلز : هي النذر في المعاصي [١].

وهذه الأقوال – على اختلافها – متقاربة في الدلالة ، ويجمعها معنى واحد ، وهو النهي عن إتباع الشيطان في تخطيه من الحلال إلى الحرام [٢]، وهذا مأخوذ من لازم المعنى اللغوي للفظ " خطوة " إذ يقال في اللغة : اقتفى خطوات فلان ، ووطئ على عقبه ، إذا اقتدى به واستن بسنته فلا يُراد المعنى الموضوع له اللفظ ، وهو تقفي آثاره حقيقة ، وإنما يراد لازمه وهو الاقتداء به [٣].

قال ابن عرفة المالكي: " قوله : ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشيطان ﴾ من مجاز التمثيل فإنه ليس المراد النهي عن إتباع خطواته حقيقة إذ لا نراه نحن ، بل الخطوات معنوية "[٤] .

وإن كان ابن اليزيدي قد اقتصر على قول مجاهد والضحاك وقتادة في تفسير الخطوات في هذه الآية بالخطأ والمعصية ، ولعل السبب في اختياره لهذا القول ، هو قربه من الدلالة المعنوية للفظ في اللغة .

---

(١) ينظر جامع البيان ٣٠٠/٣ وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ٢٨١/١ والجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/٢.

(٢) ينظر تفسير القرآن للسمعاني ١٥١/٢.

(٣) ينظر الكشاف للزمخشري ٣٨/١ .

(٤) تفسير ابن عرفة ٤٩٨/٢ .

بـ – السَّحْر :

كما في قوله (تعالى) : ﴿قَالُوا إِنَّما أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ [١]. قال المفسر : " المسَحَّرين : من له سَحْر ، والسَّحْر : الرِئة ، والمعنى أنك مخلوق "[٢] .

فابن اليزيدي يرى أن لفظ المسحر – بزنة مُفَعَّل – مشتق من السَّحْر ، وهو الرئة ، لا من السِّحْر بمعنى الخديعة وإخراج الباطل في صورة الحق [٣]، وإن كان غيره من المفسرين يرى أنه مأخوذ من السِّحْر .

دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير :

السَّحْر: الرِّئة وما لصق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن ، والجمع : أسحار ، وكذلك السُّحْر والجمع سُحُور ، وقد يحرك فيقال : سَحَر مثل : نَهْر ونَهَر لمكان حرف الحلق [وهو الحاء] [١]، قال لبيد بن ربيعة :

فإنْ سألِينا فيَم نحنُ فإننا ∴ عصافيرُ من هذا الأنام المسحَّرِ[٢]

---

(١) الشعراء [١٥٣] ، [١٨٥] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ١٣٤.

(٣) ينظر مقاييس اللغة [س ح ر] .

(١) ينظر الصحاح [س ح ر] .

(٢) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص٤٧ والعين [س ح ر] ، وعصافير ، أي : ضعاف ، ومسحَّر : معلل بالطعام والشراب ..

المُسَحَّر الذي جُعِلَ له سَحْر، ومن كان ذا سَحْر لم يجبْ ُدَّاً من طَعم ومشرب [1]. لذا استعمل السَّحْر في الغذاء ، يقال : سَحَره يَسْحَره سَحْراً وسَحَّره : غَذّاه [2]، قال امرؤ القيس :

أُرانا مُوضِعِينَ لأَمرِ غَيْبٍ ∴ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبِالشَّرابِ [3]

ومن استعمال السَّحْر في لازم معناه قول العرب : انتفخ سَحْر فلان :إذا جَبُن وملأ الخوف جوفه [4]، من ذلك قول عتبة بن ربيعة يوم بدر لحكيم بن حزام – لما بلغه قول أبي جهل بن هشام : انتفخ والله سحره ونحره – : " سيعلم مُصَفِّر استه من انتفخ سحره اليوم أنا أم هو!" [5].

قال الشّاعِر:

بكُل كَمِيٍّ نَحْرُه غَرَضُ لقَنا ∴ إذا اضطرَم الأحشاء وانتفخ السَّحرُ [1]

ويقولون للأرنب : المُقَطَّعة الأسحار ، والمُقَطَعة السُّحُور والمقطعة النِياط على التفائل ، أَي سَحْرِها قَطَّع [2].

---

(١) مقاييس اللغة [س ح ر] .

(٢) ينظر المخصص لابن سيده ٥٣/١ .

(٣) البيت من الوافر ، وهو في ديوانه ص ٧٩ والصحاح [س ح ر]، وموضعين : سائرين مسرعين ، ولأمر غيب ، أي الموت .

(٤) ينظر تهذيب اللغة [س ح ر] .

(٥) ينظر الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١٤٣/١ والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٩١/٤.

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبي تمام في ديوانه ص٥٧٥ ، والكمي : الرجل الشجاع ، والقنا: الرماح ، وضطرم:ضد انتفخ.

(٢) ينظر الصحاح وتاج العروس [س ح ر] .

وعلى دلالة الالتزام هذه جاء تفسير قوله (تعالى) : ﴿ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ، أي : المخلوقين ، وهو المروي عن ابن عباس ، وبه قال ابن اليزيدي – كما تقدم ، ومعنى الآية : إنما أنت من المخلوقين الذين يُعللون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربًّا ولا ملَكًا فنطيعك ، ونعلم أنَّك صادق [1].

وقال قتادة ومجاهد : معناه : إنما أنت من المسحورين المخدوعين [2]، فيكون اللفظ مشتقًا من السِّحْر الذي هو الباطل والخداع – كما تقدم – وأنه قد جاء على الدلالة اللفظية الوضعية . والأول أظهر في المعنى ؛ لمناسبته مقام الحوار بين الرسول ومكذبيه [3].

جـ – الضحى :

وفي بيان قول الله(تعالى) :﴿ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى ﴾[1].

قال عبد الله بن اليزيدي : " الضُّحى : البروز إلى الشمس ، والمعنى لا يصيبك الحَرِّ " [2].

فقوله : "والمعنى لا يصيبك الحر " ، هو المراد من لازم دلالة اللفظ ؛ لأن دلالته القريبة في اللغة هي : البروز للشمس ، وينشأ منه الحرُّ والعرقُ .

---

(١) جامع البيان ٣٨٥/١٩ .

(٢) ينظر المصدر السابق نفسه والكشف والبيان ١٧٦/٧ .

(٣) في الآية الأولى بين سيدنا صالح وقومه ثمود ، وفي الثانية بين سيدنا شعيب وأصحاب الأيكة .

(١) طه [١١٤] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ١١٨ .

دلالة اللفظ في اللغة :

يدل لفظ الضُّحى على بروز الشيء للشمس وتعرّضه لضوئها ، يقال : ضَحِي الرجل للشمس يَضْحَى ضُحِيًّا ، وضَحَا يضْحُو ضُحُوًّا : إذا برز لها [١]. قال عمر بن أبي ربيعة :

رَأَتْ رَجُلاً أَمّا إِذا الشَّمْسُ عارَضَتْ ∴ فَيَضْحَى وأَمَّا بالعَشِيِّ فَيَحْصَرُ[٢]

والضواحي من الشجر : القليلة الورق التي تبرُزُ عيدانها للشمس ، وضواحي الرجل : ما ضحا للشمس منه مثل المنكبين والكفين وما أشبهما ، و الَضْحاة :المكان الذي لا تكاد تغيب الشمس عنه ، تقول عليك بمضحاة الجبل ، والضَّحْيان من كل شيء :البارز للشمس[٣]، قال تأبط شرًّا :

وقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّمْحِ بارزَةٍ ∴ ضَحْيانَةٍ في شُهورِ الصَّيفِ مِحرَاقِ[٤]

هذه هي الدلالة اللفظية الوضعية للأصل { ضحو } في اللغة ، وعليها جاء قوله (تعالى) : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ [٥]، قال مجاهد "

---

(١) ينظر تهذيب اللغة ومقاييس اللغة [ض ح ى] .

(٢) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه ص٦٤ والمخصص لابن سيده٢/٣٧٢ ، وقوله : عارضت : أي صارت قبالة العين في القبلة ، ويحصر من قولهم حصر الرجل ، إذا آلمه البرد في أطرافه ، أي لنحافة جسمه يسرع إليه البرد والحر .

(٣) ينظر جمهرة اللغة ٢/٩٠ وتهذيب اللغة [ض ح ١] .

(٤) البيت من البسيط وهو في ديوانه ص ٤٢، والمفضليات للضبي ص٢٩ ، وقلة الجبل : أعلاه ،.

(٥) الشمس [١] .

وضُحَاهَا ، أي : ضوؤها وإشراقها ، وأضاف الضحى إلى الشمس ؛ لأنه إنما يكون بارتفاع الشمس " [1]، وقوله: ﴿ وَالضُّحَى وَالَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾[2] قال قتادة ومقاتل : يعني وقت الضحى ، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس ، واعتدال النهار من الحر والبرد في الشتاء والصيف [3].

وقد يشتق منه اشتقاقاً ا لفظيًا أو صرفيًا للدلالة على مطلق الظهور أو البروز، يقال: فعل ذلك ضاحيةً، إذا فعله ظاهراً بيّناً. قال :

عَمِّي الذي مَنَعَ الدِّينَارَ ضاحيةً ∴ دينَارَ نَخَّةِ كلبٍ وهو مشهودُ [4]

وضَحَا الطريق يَضْحُو ضَحْواً وضُحُوّاً : إذا بدا وظَهر ، والضَّحِيَّة معروفة، وهي الأُضْحِيَّة ، إنما سُمِّيت بذلك لأنَّ الذّبيحة في ذلك اليوم لا تكونإلاَّ في وقت إشراق الشَّمس .

ويشتق منه اشتقاقًا دلاليًا لإفادة معنى الوضوح والصفاء فيقال : ليلة ضَحْياء ، وإضْحانة : مضيئة لا غيم فيها [5].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٥٥/٢٠ .

(٢) الضحى [١-٢] .

(٣) الكشف والبيان ٢٢٣/١٠ .

(٤) البيت من البسيط ، وهو في تهذيب اللغة والمحكم [ن خ خ] ، والنخة : أن يأخذ المتصدق دينارًا لنفسه بعد فراغه من الصدقة .

(٥) ينظر مقاييس اللغة والصحاح [ض ح ى] .

دلالة اللفظ في التفسير :

ذكر المفسرون في قوله (تضحى) أقوال لا تخرج عن لازم معنى البروز للشمس ، فقال ابن عباس : لا تضحي ، أي : لا يصيبك في الجنة عطش ولا حرّ ولا أذى [1]. وقال في رواية أخرى : لا تعرق[2].

وقال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة : لا تصيبك الشمس وأذاها[3]

فالحرّ والأذى والعطش والعرق مما يلازم التعرض للشمس وضوئها .

المبحث التاسع

---

(١) جامع البيان ١٨ /٢٨٧ .

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء ١٤٦/٣ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٥٠/١.

(٣) ينظر تفسير القرآن لعبد الرزاق ٣١٣/٤ وجامع البيان ٢٨٧/١٨ ومعالم التنزيل للبغوي ٢٩٩/٥ .

الدلالة السياقية

ويقال لها : المعنى السياقي ، وهي: الدلالة التي يعينها السياق اللغوي ، أو البيئة التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة ، وتستمد – أيضًا – من السياق الاجتماعي وسياق الموقف أو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره ، من متكلم ومستمع ، وغير ذلك من الظروف المحيطة ، والمناسبة التي قيل فيها الكلام [١].

فالكلمة عندما توجد في جملة أو عبارة ، فهي في سياق لغوي وعندما تقال هذه الجملة أو هذه العبارة في مقام معين ، أو موقف اجتماعي محدد فإنه يمثل سياقها الاجتماعي ، وهذان السياقان كلاهما يسهم في إيضاح دلالة الكلمة أو تحديد الدلالة المعينة للصيغة ، فإذا استطاع لفظ من الألفاظأن تكون له معانٍ عديدة ، فيجب أن يُعلم أنها معان محتملة وأن أحد هذه المعاني يتحدد ضمن سياق معين [٢].

وقد فطن القدامى إلى فكرة السياق بنوعيه : اللغوي وغير اللغوي ونظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي [٣]، يقول عبد القاهر : " واعلْم أنْ ليسَ النظم إلا أنْ تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علُم النّحو وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه وتعرفَ

---

(١) ينظر علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص ٥٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه وينظر علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ص ٥٩ .

(٣) العربية وعلم اللغة الحديث د/ محمد داود ص ٢٠١ .

مناهَجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغُ عنها وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تَدُخلَّ بشيءٍ منها "[1]

ومن السياق غير اللغوي ما ذكروه عند تعريفهم البلاغة بأنها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته [2].

ويقول ابن خلدون : " الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها . ويبقى ما تقتضيه الأحوال ويسمى بساط الحال محتاجاً إلى ما يدل عليه . وكل معنى لا بد وأن تكتنفه أحوال تخصه ، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته "[3] .

فقد عبر القدامى عن السياق غير اللغوي بلفظ مقتضى الحال ، وبساط الحال – كما في النصين السابقين ، كما عبروا عنه بأسماء أخرى كالمقام والقصة ولموقف وغير ذلك مما لا يسع المقام ذكره هنا [4].

ومن الألفاظ التي عمل السياق بنوعيه على تحديد معناها في الآية التي جاء فيها – كما في غريب القرآن وتفسيره :

---

(١) دلائل الإعجاز ٧٧/١.

(٢) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص١٣.

(٣) المقدمة ص٣٥٩ .

(٤) ينظر دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي ص ٢٦ وما بعدها .

أ – بوأ :

في تفسير قول الله (تعالى) : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [1]، قال ابن اليزيدي : " باءوا بغضب ، أي : حملوه ، وباءوا بغضب ، أي : رجعوا ، وقال المفسرون : وباءوا بغضب : استحقوا الغضب من الله " [2].

فهو يفسر الفعل " باء " بثلاث تفسيرات مختلفة ، إلا أنها متقاربة من حيث المفهوم والدلالة ، والتفسيران الأول والثاني هما الأعرف عند أهل اللغة ، وبهما قال الكسائي وأبو عبيدة [3]، وأما الثالث والذي خصّ به المفسرين فهو تفسير سياقي ، مناسب للفظ في سياق الآية الكريمة .

دلالة اللفظ في اللغة :

أصل البواء في اللغة : مساواة الأجزاء في المكان ، خلاف النبوة التي هي منافاة الأجزاء ، يقال : مكان بواء ، إذا لم يكن نابيًا بنازلة ، وبوَّأت له مكانًا : سوّيته فتبوّأ[4]، قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

كَم مِن أَخٍ لي صَالِحٍ ∴ تُبَوِّئُهُ بِيَدَيَّ لَحْدا [5]

أي : سويت له اللحد وأسكنته فيه ، والعرب تقول : تبوّأ فلان منزلاً ، إذا نظر إلى أحسن ما يُرى وأشده استواءً وأمكنه لمبيته فاتخذه ،

---

(١) البقرة من الآية : [٦١] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٥ .

(٣) ينظر مجاز القرآن ٢٠/١ .والكشف والبيان ٢٠٦/١ .

(٤) المفردات للراغب ص ٦٩ .

(٥) البيت من الكامل وهو في ديوان الحماسة ٥١/١ والعين [هـ ل ع].

ويقولون : تبوأ : إذا هيأ وأصلح ،و تبوأ إذا نزل وأقام ، والمعنيان قريبان ، والاسم منه : المباءة وهي المنزل ، يقال هذه مباءة بني فلان ، أي : دارهم ومنزلهم ، حيث يتبوّأون في قُلى وادٍ أو سند جبل [١]، قال : طرفة :

طيِّبُ البَاءةِ سهلٌ ولُهُمْ ∴ سُبلٌ إنْ شئْتَ في وحشٍ وعِرْ [٢]

وقال إبراهيم بن هَرْمة :

يُوِّئتْ في صَميم مَغْرِسِها ∴ تَمَّ في قومِها مُبَوَّؤُها [٣]

والمباءة –أيضًا – منزل الإبل ، حيث تناخ في الموارد ، يقال : أبأنا الإبل نُبيئها إباءة ، إذا أنخنا بعضها إلى إلى بعض ، وأبأت على فلان ماله ، إذا : أرحت عليه إبله أو غنمه[٤]، قال الشاعر :

خليطان بينهما مِئْرَةٌ ∴ بِيئانِ في مَطِنٍ ضَيِّقِ [٥]

هذه هي الدلالة الأصلية لمادة [ب و أ] ، وهي التمكن من الشيء المستوي والنزول فيه ، ثم كثُر استعمالها في اللغة حتى جُعلت عبارة عن المنزل مطلقًا[٦]، من ذلك قول النبي (ﷺ) : (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ

---

(١) ينظر الجيم ٨٦/١ وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة [ب و أ] .

(٢) البيت من الرمل وهو في ديوانه ص٥٠ وتهذيب اللغة[ب ا ء]، والباءة : فناء الحي ، ووحش وعر : مسلك ضيق موحش .

(٣) البيت من البسيط وهو في العين ومقاييس اللغة والمحكم[ب و أ]، يقول : أنزلتْ من الكرم في صميم النَّسب .

(٤) مقاييس اللغة [ب و أ] .

(٥) البيت من المتقارب ، وهو في العين ومقاييس اللغة [ب و أ] ، والمِئْرَةُ النَّحْلُ والعَداوَةُ .

(٦) ينظر المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي ٨٩/١ .

مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) [١]، أي : لينزل منزله منها ، وقول الله (تعالى) :﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً ﴾ [٢].

ثم تفرعت دلالة اللفظ عن طريق الانتقال بالمجاز ، فأصبح من مدلولاته الباء والباءة بمعنى : النكاح كما في قوله (ﷺ) : (مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُم الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ)[٣] فهو منتقل من الباءة والمباءة بمعنى المنزل ، ووجه المجاز – هنا أن الرجل يتبوأ من أهله ، أي : يستمكن منها كما يتبوأ من داره [٤]، فيكون المجاز بالاستعارة لعلاقة المشابهة ، أو لأن من تزوج امرأة بَوَّأها منزلاً ، فيكون المجاز مرسلاً لعلاقة اللزوم [٥]. قال الأصمعي : يقال : فلان حريص على على الباءة ،أي : على النكاح وأنشد :

يُعَرِّسُ أَبْكَاراً بِهَا وَعُنَّسَا

أَكْرَمُ عِرْسٍ بَاءَةً إِذْ أَعْرَسَا [٦].

وتجمع الباءة على الباءات قال الراجز :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ ذُو الثَّبَاتِ

---

(١) صحيح البخاري ٥٢/١ وسنن الترمذي ٥٢٤/٤ .

(٢) يونس من الآية [٨٧] .

(٣) صحيح البخاري ٦٧٣/٢وصحيح مسلم ١٨/١٠.

(٤) ينظر الصحاح والعباب [ب و أ] .

(٥) ينظر تهذيب اللغة [ب ا ء] واحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد العيد ص٣٨٩ .

(٦) من الرجز يصف فيه الحمار والأتن وهو في تهذيب اللغة وتاج العروس [ب و أ أ] ، ويعرّس : يغشاها ، والعنس : المتوسطات اللاتي لسن بأبكار .

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي صَاحِبَ الْبَاءَات

فَاعْمِدْ إِلَى هَاتِيكُم الأُبِيات [1].

ومن الكناية قولهم : فلان طيب المباءة ، للعفيف الفرج ، جُعل طيب المباءة وهي المنزل كناية عن ذلك ، وفلان رحب المباءة للسخي الواسع المعروف ، وهو من سعة المنزل ، أو من المباءة بمعنى بيت النحل في الجبل ، وهو المراح الذي تبيت فيه [2]، قال الشاعر :

وَبَوَّأْتَ بَيْتَكَ فِي مَطْعَمٍ ∴ رَحِيبِ الْمَبَاءَةِ وَالْمَسْرَحِ

كَفَيْتَ عُفَاةَ طِلاَبَ الْقِرَى ∴ وَنَبْحَ الْكِلاَبِ لُمُسْتَنْبِحِ [3]

ومن المجاز قولهم : باء فلان بذنبه ، وباء بغضب الله ، كأنه عاد إلى مباءته محتملاً لذنبه ، أو أنه حَلَّ مبوأً ومعه غضب الله ، أو صار المذنب مأوى لذنبه [4]. وعليه جاء قول الله (تعالى) : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾[5]، أي : تقيم بهذه الحالة ، ومنه يقال : باء فلان ببيئة سوءٍ ، أي : بحالة سوء ، وفلان حسن البيئة على فِعلة[6]، كل هذا هذا مأخوذ من قولك تبوأت منزلاً .قال الشاعر :

---

(١) الأبيات من الرجز ،وهي في تهذيب اللغة وتاج العروس[ب و أ].

(٢) ينظر تهذيب اللغة وتاج العروس [ب و أ] .

(٣) البيتان من المتقارب، وهما في الحيوان للجاحظ ٣٨١/١ وتاج العروس [ب و أ] ، والعفاة : طلاب المعروف .

(٤) ينظر تهذيب اللغة [ب ا ء] والمغرب في ترتيب المعرب ٨٩/١ .

(٥) المائدة من الآية [٢٩] .

(٦) ينظر تهذيب اللغة [ب ا ء] والمفردات في غريب القرآن ص٧٠ .

لَدِ لْـتُ بـذي الأُرطَـى فُوْيـقَ مثَقَّـبٍ ∴ بِبِيئَـةِ سُوءٍ هَالِـكاً أَو كَهَالِـكِ [1]

فهذا التعدد الدلالي لمادة [ب و أ] قد جاء نتيجة التطور الدلالي والانتقال بالمجاز . والذي يفرد اللفظ لمعناه المناسب له في الكلام هو مراعاة المقام أو مقتضى الحال ، وهو ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بالسياق .

دلالة اللفظ في التفسير :

المأثور عن سعيد بن جبير في قوله :(وباءوا بغضب من الله) استوجبوا سخطًا ، وأثر عن الضحاك : أنهم استحقوا غضب الله[2] – كما قال بن اليزيدي . وهذان التفسيران قد جاء كل منهما مناسبًا للفظ في سياق الآية الكريمة ، وإن كان الأخذ من المعنى اللغوي ، ظاهرًا لكونه من المجاز ، يدل لذلك قول الطاهر بن عاشور : " وباءوا بغضب من الله ، أي : رجعوا وهو مجاز لمعنى صاروا إذ لا رجوع هنَا "[3]، يعني لا رجوع حقيقة ، وإلا فالصيرورة من لازم معنى الرجوع .

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ص٦٨ والمحكم والمحيط الأعظم [ب و أ] ، وذو الأرطى : موضع ، والمثقب : مفعل من ثقب الشيء: خرقه، وهو اسم موضع أيضًا.

(٢) ينظر جامع البيان ١٣٨/٢ وتفسير ابن أبي حاتم الرازي ١٥٣/١.

(٣) التحرير والتنوير ٥٦/٤ .

ب – خسأ :

في تفسير قوله(تعالى):﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [١]، قال المفسر: " خاسئين : مبعدين ، تقول :خَسَأْتُهُ عني وخسأت الكلب أي : باعدته ، وقال المفسرون : صاغرين في معنى خاسئين"[٢].

فتفسيره لـ " خسأ "بمعنى بَعُد هو دلالة اللفظ في اللغة ، وتفسيره له بمعنى الصِّغار هو دلالته عند المفسرين عامة ، وإن لم ينسبه إلى القائلين به ،ويبدو أنه التفسير السياقي للفظ في هذه الآية.

دلالة اللفظ في اللغة :

تفيد مادة { خ س أ } في اللغة معنى الإبعاد والطرد ، فالخاسئ من الكلاب والخنازير للمبعد المطرود ، الذي لا يُترك أن يدنو من الناس ، وكذلك الخاسئ من الشياطين . يقال : خَسَأْت الكلبَ أَخْسَؤه خَسْأً فهو خاسئ ، إذا طرته وأبعدته ، وخسأ الكلب نفسه بعُد ، يتعدى ولا يتعدى ، كانخسأ[٣] قال الشاعر :

* كالكَلْبِ إِنْ قِيلَ له اخْسَإِ انْخَسَأْ [٤]*

هذه هي الدلالة الأصلية للفظ عند العرب ، ثم كثر استعمالها في كل ما يتضمن معنى الإبعاد لمهانته وقبحه ، قال ابن بطال (ت٤٤٩هـ): " أخسأ زجر للكب وإبعاد له ، هذا أصل هذه الكلمة عند العرب ثم استعملت

---

(١) البقرة من الآية [٦٥] .

(٢) غريب القرآن وتفسيره ص ٢٤ .

(٣) ينظر جمهرة اللغة ١١٧/٢ والصحاح والمحكم وتاج العروس [خ س أ] .

(٤) من الرجز ، وهو في الصحاح [خ س أ] والمفردات للراغب ص ١٤٨ .

في كل من قال أو فعل مالا ينبغي له مما زَجَرَ عنه النبيُّ " [1]، من ذلك قولهم : خسأ البصر ، أي : انقبض عن مهانة ، أو كلّ وأعيا[2] ، وعليه جاء قوله (تعالى): ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[3] ، وتخاسأ القوم بالحجارة : تراموا بها وكانت بينهم مخاسأة [4]؛ لما في ذلك من معنى التباعد أو التباغض .والخَسِيءُ بزنة "فعيل" : الرديء من الصوف ، والخاسئ من الرجال الصاغر القميء، يقال : خسأ الرجل خسوءاً وخسأته خَسْأً : صار ذليلاً صاغرًا [5]، قَالَ (تعالى): ﴿ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [6]،أي تباعدوا تباعد سخط[7]، ومنه قول الرسول (ﷺ) لابن صياد :(اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ) ،معناه : اسكت صاغرًمطرودًا [8].

وكما أصاب معنى اللفظ تطور أو اتساع تبعًا لكثرة لاستعمال اللغوي ، فقد أصاب مبناها – أيضًا – شيء من التطور الصوتي حيث أصبحت تنطق " اخس "بحذف الهمزة تخفيفًا، فقد جاء في بعض روايات هذا الحديث : اخس [9]، ولا يزال هذا الاستعمال سائدًا في اللغة حتى وقت

---

(١) شرحه لصحيح البخاري ٣٣٣/٩ .

(٢) ينظر المحكم [خ س أ] والمفردات ص ١٤٨ .

(٣) الملك من لآية [٤] .

(٤) ينظر الصحاح والعباب للصاغاني [خ س أ] .

(٥) ينظر العباب والجامع لأحكام القرآن ٣٤٤/١ وتاج العروس [خ س أ] .

(٦) المؤمنون [١٠٨] .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٤٤٣/١ .

(٨) صحيح البخاري ١١١٢/٣ وفتح الباري لابن حجر ٥٦١/١٠ .

(٩) فتح الباري ٥٦١/١٠.

الناس هذا ، إذ يقال لمن يُلقى عليه اللوم في شيء ما : اخس وتنطق مفخمة بالصاد بدل السين في بعض الأقاليم .

دلالة اللفظ في التفسير :

للمفسرين في لفظ " خاسئين " في هذه الآية عدة تأويلات ، كلها مناسبة لسياق الآية متقاربة في الدلالة متفرعة من معنى الإبعاد في اللغة .

التأويل الأول : خاسئين بمعنى : مطرودين صاغرين ، وهو قول مجاهد وقتادة والربيع [١].

الثاني : قال أبو روق : الخاسئين : الذين لا يتكلمون خرسًا [٢]، ودليله قوله (تعالى) : ﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [٣].

الثالث : خاسئين : مبعدين ، قاله المؤرج [٤].

الرابع : خاسئين ، يعني أذلاء وهو المروي عن ابن عباس [٥].

وهذه الأقوال لا تخرج عن معنى واحد ، وهو تصوير ما كانوا عليه من الذلّة والهوان ، فالتباعد في القول الثالث تباعد معنوي مجرد ، وهو تباعد سخط ، أي أنهم مبعدون من رحمة الله[٦]،كما أن الذليل المهان لا يتكلم عادة .

---

(١) ينظر جامع البيان ٢/ ١٧٤ والكشف والبيان ٢١٢/١ .

(٢) ينظر الكشف والبيان ٢٩٨/٤ واللباب في علوم الكتاب ١٤٩/٢ .

(٣) المؤمنون [١٠٨] .

(٤) ينظر الكشف والبيان ٢٩٨/٤ .

(٥) ينظر جامع البيان ١٧٤/٢ والنكت والعيون للماوردي ١٣٥/١ .

(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن ٤٤٣/١ وبحر العلوم ٨٨/١ .

لذا فسر بعضهم : قوله (تعالى) :﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾ تفسيرًا سياقيًا ملائمًا للمسخ في هذه الآية فقال : مسخ قلوبهم ، يعني بالطبع والختم ، لا أنه مسخ صورهم ، وهو مثل ضربه الله لهم ، كما قال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ [1]، وإن كان الجمهور من المفسرين على التفسير الظاهر ، وهو أنهم مُسخوا حقيقة ، فصاروا قردةً لها أذناب تعاوي بعد ما كانوا رجالاً ونساءً ، أي قال لهم كونوا ، فكانوا على وجه الحقيقة [2].

جـ (هطع) :

في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [3]، قال : " مهطعين : مسرعين ، وقال المفسرون : الإهطاع : أن يديم النظر ولا يطرف "[4] .

فهو يذكر لقوله (مُهْطِعِينَ) معنيين : أحدهما لغوي ، والثاني مأثور عن المفسرين ويرادفه لفظ التحميج في اللغة[5] .

دلالة اللفظ في اللغة :

تفيد مادة [هـ ط ع] في اللغة الانقياد نحو جهة ما أو الإسراع إليها، من ذلك المهطع : الساكت المنطلق إلى من هتف به . وهَطَع الإنسان و غيره هطوعًا وأهطع : أسرع مقبلاً ببصره على ما أقبل عليه فهو هاطع ومهطع ، وهطع الرجل وأهطع – أيضًا – إذا أقبل مسرعًا خائفًا

---

(١) الجمعة من الآية [٥] . وهو قول مجاهد في تفسيره ١/ ٧٧.

(٢) ينظر جامع البيان ١٧١/٢– ١٧٢ واللباب في علوم الكتاب ١٤٩/٢ .

(٣)إبراهيم من الآية [٤٣] .

(٤) غريب القرآن وتفسيره ص ٩١ .

(٥) ينظر المحكم [ح م ج] ، والتحميج : فتح العين وتحديد النظر كأنه مبهوت .

، ولا يكون ذلك إلا مع خوف [١]، وهي صفة أو هيئة من صفات الإنسان في عدوه ، يعني : من مرّ على تلك الهيئة سمي مهطِعا ؛ لذا قال الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في تفصيل ضروب من مشي الإنسان : " الإهطاع : مِشْيةُ المسرِع الخائف " [٢]، ومن ذلك قول الشاعر :

إذَا دَعانَا فأَهْطَعَا لِدَعْوتِهِ ∴ دَاعٍ سَمِيع فَلفُّونَا وسَاقُونَا [٣]

ومن السرعة والانقياد قول العرب : أهطع البعير في سيره واستهطع ، إذا أسرع ومد عنقه وصوب رأسه ، وناقة هطعى : سريعة .وجمل مهطع : في عنقه تصويب خِلْقةً [٤]،وهي وإن كانت صفة ملازمة له ،إلا أنها مأخوذة من معنى الإهطاع عند السرعة في السير ، قال الشاعر يصف بعيرا :

وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ مِاَمَهُ ∴ في رأسِ جذْعٍ مِنْ أَراكٍ مُشَذَّبِ [٥]

ومن المعنى نفسه قولهم للرجل إذا قّر وذلّ : قد أربخ وأهطع ؛ لأن الإقرار إقبال وانقياد إلى الطاعة أو الاستكانة [٦]. قال الشاعر:

تَعَنَّي نِمْرُ بنُ سَعْدٍ وقد أُرى ∴ ونِمْرُ بنُ سَعْدٍ لي مُطيع ومُهْطِع[٧]

---

(١) ينظر جمهرة اللغة / وتهذيب اللغة والمحكم [هـ ط ع] .

(٢) فقه اللغة ص ٦٨٦.

(٣) البيت من البسيط وهو لعمرو بن حطان في المحرر الوجيز لابن عطية ٣٤٣/٣ والبحر المحيط لأبي حيان ٤١٨/٥ .

(٤) ينظر العين والصحاح وتاج العروس [هـ ط ع] .

(٥) البيت من الكامل ، ولم أقف على قائله وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٦٠/١ ٦٠/١ والبحر المحيط ٤١٨/٥ ، والمشذب : الجذع الذي قُشر ما عليه من الشوك .

(٦) ينظر تهذيب اللغة [هـ ط ع] .

وُمْهِطِـــــــــــــــــــــــــع[1]

يقول : كان ذليلاً لي ، فصار فوقي .

كل ذلك من معنى الإسراع والإقبال على الشيء ، لذا قال ابن فارس : " الهاء والطاء والعين: أُصَيلٌ يدلُّ على إقبالٍ على الشّيء وانقياد . يقال هَطَعَ الرّجلُ على الشَّيء ببصره : أقبلَوأهطعَ البعيرُ : صَوَّبَ عنقَه منقاداً وأهْطَعَ :أسْرَعَ " [2] فاللفظ في اللغة إذًا قد تعددت دلالته وكلها تنتمي إلى معنى واحد،هو الإقبال والإسراع.

دلالة اللفظ في التفسير :

اختلف أهل التأويل في تفسير وبيان معنى " مُهْطِعِينَ " في هذه الآية ، فقال بعضهم : معناه مسرعين ، وهو المأثور عن قتادة وسعيد بن جبير[3]، وقال آخرون : معنى ذلك إدامة النظر من غير أن يطرف ، وهو المروي عن ابن عباس والضحاك ومجاهد [4].

والأولى أن يراد من الإهطاع الوجهان جميعًا ، يعني الإسراع وإدامة النظر ، لتفرع المعنيين من الدلالة اللغوية ، ولأن كلاً من المعنيين يعبر عن هيئة المسرع الخائف [5]، وهو اللائق بسياق النظم القرآني ، وإعجاز

---

(١) البيت من الطويل ، وهو في العين وتهذيب اللغة [هـ ط ع] .

(٢) مقاييس اللغة [هـ ط ع] .

(٣) ينظر جامع البيان ٢٩/١٧ والجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٩ وبحر العلوم ٢٤٧/٢.

(٤) ينظر جامع البيان ٢٩/١٧ ومعاني القرآن للنحاس ٥٣٨/٣ والجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٩ .

(٥) ينظر تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ١٢٢/٣ والجامع لأحكام القرآن ٣٧٦/٩ .

وإعجاز أسلوبه ، ولقوله (تعالى) :﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي : لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر [1].

قال الطاهر بن عاشور : " ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها ... وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز وهذا من آثار كونه معجزة خارقة لعادة كلام البشر " [2]، وعلى ذلك فمعنى " مُهْطِعِينَ " : مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب ، لا امتناع لهم ولا محيص ولا ملجأ ، مديمي النظر في إسراعهم وإقبالهم ، لا تطرف أعينهم من شدة ما ترى من الأهوال وما أزعجهم من القلاقل[3] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/٩ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣٣/١ .

(٣) ينظر تفسير القرآن للسمعاني١٢٢/٣وتفسير السعدي ص٣٢٧ .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخرًا ، والصلاة والسلام على النبي الخاتم المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد

فمن خلال البحث في دلالة اللفظ بين اللغة والتفسير في ضوء كتاب غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي قد توصلت إلى عدة نتائج من أهمها ما يلي :

١- دلل هذا البحث على أن اللغة العربية قد بلغت ذروة الفصاحة وتنوعت دلالات ألفاظها وطرق التعبير فيها قبل نزول القرآن الكريم فجاء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فكانا خير مصور لذلك حيث اختلفت دلالة اللفظ باختلاف وروده في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

٢- إن هذا البحث يكشف عن مظهر من مظاهر فقه الألفاظ في القرآن الكريم ، وأن ما يثيره الممترون أو المتشدقون من قضايا التشكيك في العقيدة الإسلامية من خلال القرآن الكريم ،إنما هو نتيجة لقلة فهمهم لمعاني هذه الألفاظ في مواضعها .

٣- يمثل هذا البحث حلقة من حلقات الربط بين ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ السنة النبوية المطهرة ، فكثير من دلالات الألفاظ فيه جاءت مروية عن رسول الله (ﷺ) ، أو رفعها بعض كبار الصحابة إليه .

٤- تبين من خلال البحث أن دلالة اللفظ في التفسير تعد إفرادًا لما عليه اللفظ من دلالات متنوعة في اللغة ، وأن علاقة التفسير باللغة علاقة الخاص بالعام أو علاقة جزء الشيء بكله .

فهرس أهم المصادر والمراجع

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ، دار الوطن الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم – مطبعة دار الفكر .

- إجابة السائل شرح بغية الآمل للأمير الصنعاني ، تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي وآخر ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ، حققه أ/مصطفى شيخ مصطفى و مدثر سندس ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، تحقيق د/ سيد الجميلي ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

- أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص ، تحقيق أ/ محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٥هـ .

- أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق أ/ محمد محيى الدين عبدالحميد المكتبة التجارية مصر ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٣م .

- الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث و الآثار للسيوطي ، المكتبة الشاملة – قسم الأدب .

- الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها د/ هادي نهر – دار الأمل الأردن – الطبعة الثانية ٢٠٠٥م .

- أساس البلاغة للزمخشري ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١هـ١٩٢٣م.

- إسفار الفصيح للهروي ، دراسة وتحقيق أ/ أحمد بن سعيد بن محمد قشاش الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

- الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق الشيخ/عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي من دون تاريخ .

- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه تأليف د/ عياض بن نامي السلمي – كلية الشريعة بالرياض .

- الاعتصام للشاطبي – المكتبة الشاملة – قسم العقيدة .

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، حققه أ/ سمير جابر ، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية .

- الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، المكتبة الشاملة – قسم متون الحديث .

- الأنساب للسمعاني، علق عليه وقدم له أ/عبد الله عمر البارودي، دار الجنان بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ١٩٨٨م .

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني – دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

- بحر العلوم للسمرقندي ، تحقيق د/ محمود مطرجي ، دار الفكر بيروت .

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني – دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٢م.

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .

- البحر المديد لابن عجيبة الحسني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – الطبعة الثانية / ١٤٢٣ هـ٢٠٠٢ م .

- بغية الوعاة للسيوطي تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد/ محمد مرتضى الزبيدي، مطبعة الجمالية بمصر ١٣٠٦هـ

- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تحقيق د/ أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملاين بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

- تاريخ الإسلام للذهبي ، حققه د/عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧-١٩٨٧م.

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت .

- تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي ، تحقيق أ/ محب الدين العمري ، دار الفكر بيروت ١٩٩٥م .

- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي(ت ٨٨٥ هـ)، تحقيق د/عبدالرحمن الجبرين، وآخرين- مكتبة الرشد الرياض١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م .

- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ١٩٩٧م .

- التعاريف للمناوي ، تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

- تفسير ابن أبي حاتم الرازي تحقيق أ/ أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية صيدا .

- تفسير سفيان الثوري ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٣هـ.

- تفسير الفخر الرازي ، دار إحياءالتراث العربي .

- تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني – المكتبة الشاملة، قسم التفاسير .

- تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم وآخر، دار الوطن الرياض الطبعة الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير،حققه أ/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع–الطبعة الثانية١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

- تفسير مجاهد بن جبر المخزومي ، تحقيق أ/ عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي– المنشورات العلمية – بيروت .

- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي ، تحقيق أ/ أحمد فريد ، دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م

- التعريفات للجرجاني ، تحقيق أ/ إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ، تحقيق د/ رياض زكي قاسم دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى١٤٢٢هـ٢٠٠١م .

– ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥م .

– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، حققه أ / هشام سمير البخاري ، عالم الكتب الرياض ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

– جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري حققه أ / أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

– جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، المكتبة الشاملة – كتب الأدب .

– جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، دار الفكر – الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

– جمهرة اللغة لابن دريد ، دار صادر بيروت من دون تاريخ وطبعة أخرى .

– الجيم لأبي عمرو الشيباني ، حققه د/ إبراهيم الإبياري وآخرون ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٥هـ١٩٧٥م وأخرى.

– الحيوان للجاحظ ، تحقيق أ/ عبد السلام محمد هارون – دار الجيل بيروت ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .

– الخصائص لابن جني ،حققه د/ محمد علي النجار – المكتبة العلمية.

- الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي – المكتبة الشاملة ، قسم التفاسير.

- الدر المنثور للسيوطي ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م .

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د/ محمد التنجي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

- دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية١٩٩٧م.

- دلالة الألفاظ العربية وتطورها د/ مراد كامل ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣م .

- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د/ عبد الفتاح البركاوي.

- دلالة اللفظ أطوارها وأنواعها د/ عيد محمد الطيب ، مطبعة الأمانة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

- ديوان الأخطل ، شرحه أ/ مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

- ديوان الأدب للفارابي ، المكتبة الشاملة – قسم اللغة والمعاجم .

- ديوان الإسلام لابن الغزي ، المكتبة الشاملة – قسم التاريخ .

- ديوان الأعشى – دار صادر بيروت ، من دون تاريخ .

– ديوان امرئ القيس ، شرحه أ/ عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

– ديوان أوس بن حجر ، دار صادر بيروت .

– ديوان تأبط شرًا ، اعتنى به أ/ عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م .

– ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، حققه د/محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر١٩٦٥م .

– ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، حققه د/ نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م .

– ديوان الحماسة لأبي تمام ، المكتبة الشاملة – قسم دواوين الشعر.

ديوان حميد بن ثور الهلالي ، صنعة أ/ عبد العزيز الميمني ، در الكتب ١٩٥١م .

– ديوان الخنساء ، المكتبة الثقافية بيروت .

– ديوان ذي الرُّمة ، شرحه أ / أحمد حسن بسج – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى١٤١٥هـ١٩٩٥م وطبعة أخرى.

– ديوان راعي الإبل النميري، المكتبة الشاملة – قسم دواوين الشعر.

– ديوان رؤبة بن العجاج صححه وليم بن الورد البروسى – مكتبة المثنى – بغداد .

- ديوان زهير بن أبي سلمى للأعلم الشنتمري ، المطبعة المحمدية المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ وأخرى .

- ديوان الشماخ بن طرار (ﷺ) ، شرحه أ/ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ١٣٢٧هـ

-ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به أ/ عبد الرحمن المصطاوي – دار المعرفة بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

- ديوان العجاج ، حققه د/ سعدي ضناوي – دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

- ديوان عنترة بن شداد – مطبعة الآداب بيروت ١٨٩٣م .

- ديوان الفرزدق ، شرحه أ/ علي فاعور – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

- ديوان القطامي ، مطبعة لندن ١٩٠٦ م .

- ديوان قيس بن الحطيم – المكتبة الشاملة – قسم دواوين الشعر.

- ديوان لبيد بن ربيعة ، اعتنى به أ/ حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

- ديوان أبي النجم العجلي ، حققه د/ سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

- روح البيان لإسماعيل حقي ، دار إحياء التراث العربي .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي – المكتبة الشاملة قسم التفاسير .

- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .

- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري ، تحقق د/ محمود جبر الألفي وزارة الأوقاف الكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

- الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ، حققه د/حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

- سنن أبي داود ، دار الكتاب العربي ـ بيروت من دون تاريخ .

- سنن الترمذي ، تحقيق أ/ أحمد محمد شاكر وآخرين – دار إحياء التراث العربي بيروت .

- السنن الكبرى للبيهقي ، دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الهند – الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ.

- سنن ابن ماجه ، تحقيق أ/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر – بيروت .

- سير أعلام النبلاء للذهبي ، تحقيق أ/ شعيب الأرنؤوط – حسين الأسد ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ١٩٩٣م.

- شذرات الذهب لابن العماد ، دار الكتب العلمية .

- شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي ، حققه أ/محمد نور الحسن وآخرون – دار الكتب العلمية بيروت١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ، تحقيق أ/عبدالغني الدقر الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

- شرح صحيح البخاري لابن بطال ، حققه أبو تميم ياسر بن تميم ، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م.

- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (المتوفى : ٦٥٦هـ) ، حققه أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

- شرح النووي على صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

- شرح المعلقات السبع للزوزني ، دار إحياء التراث العربي – الطبعة الأولى ١٤٢٣- ٢٠٠٢م .

- الشعر والشعراء لابن قتيبة ، المكتبة الشاملة – قسم الأدب .

- صحيح البخاري ، حققه د/ مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

- صحيح مسلم ، دار الجيل بيروت من دون تاريخ .

- العباب الزاخر للصاغاني – المكتبة الشاملة – قسم اللغة والمعاجم.

- العربية خصائصها وسماتها د/ عبد الغفار حامد هلال – مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

- العربية وعلم اللغة الحديث د/محمد داود ،دار غريب للطباعة والنشر ٢٠٠١م

- علم الاشتقاق نظريًا وتطبيقًيا د/ محمد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

- علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب الطبعة الرابعة ١٩٩٣م .

- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي د/ عبد الجليل منقور ، دار الكتاب الحديث ١٤٣٢- ٢٠١١م .

- علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د/ فريد عوض حيدر – مكتبة الآداب القاهرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

- العين للخليل بن أحمد ، تحقيق د/مهدي المخزومي–د/إبراهيم السمرائي ، دار الهلال .

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، مكتبة المتنبي القاهرة.

- غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري تحقيق/ الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

- غريب الحديث لإبراهيم بن إسحاق الحربي ، تحقيق د/ سليمان إبراهيم محمد العايد ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق د/ محمد عبدالمعيد خان، دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

- غريب الحديث لابن قتيبة ، تحقيق د/عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني بغداد الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

- غريب القرآن وتفسيره لابن اليزيدي حققه د/ عبد الرزاق حسين ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ١٩٨٧م .

- الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، تحقيق أ/على محمد البجاوي- محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة بيروت .

- فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.

- فتح القدير للشوكاني ، المكتبة الشاملة - قسم التفاسير .

- فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي - المكتبة الشاملة ، قسم اللغة والمعاجم .

- في الدلالة اللغوية د/ عبد الفتاح البركاوي الطبعة الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠م

- الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة بيروت ١٣٩٨-١٩٧٨م.

- الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، تحقيق أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

- الكشاف للزمخشري ، حققه أ/ عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

- كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

- الكشف والبيان للثعلبي ، حققه الشيخ/ أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

- الكليات لأبي البقاء الكفوي ، حققه د/ عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

- كنز العمال للمتقي الهندي ، حققه أ/ بكري حياني – صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ١٩٨١م.

- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د/ عبد العزيز مطر ،الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

- لسان العرب لابن منظور، حققه أ/عبد الله علي الكبير وآخرون، مطبعة دار المعارف .

- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر الدمشقي ، حققه/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخر ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م .

- لغة تميم دراسة تاريخية وصفية د/ ضاحي عبد الباقي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

- المثل السائر لابن الأثير، تحقيق أ/ محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٩٥م .

- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، علق عليه د/ محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بمصر ، وأخرى .

- المجتبى من السنن للنسائي ، تحقيق أ/ عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ١٩٨٦م .

- مجمع الأمثال للميداني تحقيق أ/ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة بيروت .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي بكر الهيثمي ،دار الفكر بيروت ١٤١٢ هـ .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ، حققه أ/علي النجدي ناصف وآخرون – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٢٠-١٩٩٩م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق أ/ عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م.

- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيده ، حققه د/عبدالمجيد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

- المخصص لابن سيده ، حققه أ/ خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي ، حققه أ/ محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، دار الحرم للتراث القاهرة الطبعة الثالثة .

- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، تحقيق أ/مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى هـ١٤١١ - ١٩٩٠م .

- مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة - القاهرة

- مسند إسحاق بن راهويه ، تحقيق أ / عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

- مسند أبي يعلى الموصلي التميمي ، تحقيق أ/ حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ١٩٨٤م.

- المصباح المنير للفيومي ، المكتبة العلمية بيروت .

- مُصنف ابن أبي شيبة تحقيق أ/ محمد عوامة – طبعة الدار السلفية الهندية القديمة.

- مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق أ/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- معالم التنزيل للبغوي (المتوفى ٥١٦ هـ) حققه أ/ محمد عبدالله النمر وآخرون دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

- معالم الدلالة اللغوية في القرن الثالث الهجري على مستوى الكلمة المفردة د/ إبراهيم عبد الله الغامدي – جامعة أم القرى مكة المكرمة.

- معاني القرآن للفراء – المكتبة الشاملة قسم التفاسير .

- معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ، حققه أ / محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

- المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م وأخرى .

- المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق أ/ طارق بن عوض الله بن محمد وآخر ، دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥هـ .

- المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق أ/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م .

- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي بيروت.

- معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية د/ حازم علي كمال الدين ، مكتبة الآداب القاهرة .

- المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة د/ محمد حسن جبل ، مكتبة الآداب – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

- المغرب في ترتيب المعرب لابن المطرز ، حققه أ/ محمود فاخوري – عبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد حلب الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، حققه أ/ محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيروت .

- مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق الشيخ /عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية .

- الموافقات للشاطبي (المتوفى : ٧٩٠هـ) ، تحقيق أ/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

- مقدمة بن خلدون ، المكتبة الشاملة – قسم التاريخ .

- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، المكتبة الشاملة قسم التاريخ .

- النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي د/ نعمان بوقرة ، من منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق – ٢٠٠٤م .

- النكت والعيون للماوردي ، تحقيق أ/السيد بن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية بيروت .

- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحقيق أ/طاهر أحمد الزاوي وآخر ، المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

- الوافي بالوفيات للصفدي ، الكتبة الشاملة – قسم التاريخ .